2
2007
يوميا: الإنسان والتطور
الإصدار الإلكتروني

كتابة كاملة
الجزء الثاني

النشرة الأسبوعية
أكتوبر 2007

# النص البشري في سوائه و إضطرابه

## ... قراءة من منظور تطوري

بروفسور يحيى الرخاوي

أسبوعيات أكتوبر 2007

المجلد 2، الجزء 2 – أسبوع 2 ، أكتوبر 2007

إصدارات شبكة العلوم النفسية العربية

# النـــص البشـــري فـــي سوائـــه و إضطـرابـــه

## ... قـــراءة مـن منظـــور تطـــوري

بروفســـور يحيـــى الرخـــاوي

أسبوعيـــات أكتوبـــــــر 2007

## الفهـــــــــــرس


الإثـنيـــن 2007-10-01:
31- الصوفية والفطرة والتركيب البشرى (2) 148
الـثلاثـاء 2007-10-02:
32- سر اللعبة 154
الإربعاء 2007-10-03:
33- اللعب مع الأسوياء: خفيف خفيف!! 161
الخميـــس 2007-10-04:
34- فى شرف صحبة "نجيب محفوظ" (2) 167
الجمعـــة 2007-10-05:
35- حـوار/ بريـد الجمعة 172
الـسبـــت 2007-10-06:
36- الطفل: "مشروع" يحمل كل النقائض!! فلا تختزلوه !! 191
الأحـــد 2007-10-07:
37- الخوف من الحب (1) 199
الإثـنيـــن 2007-10-08:
38- الخوف من الحب (2) 212
الـثلاثـاء 2007-10-09:
39- "طاغور" يرد "عليها" قبل أكثر من نصف قرن 221
الإربعاء 2007-10-10:
40- التحكُّمْ، والخوف من فقدهْ (2) 223
الخميـــس 2007-10-11:
41- فى شرف صحبة نجيب محفوظ (3) 230
الجمعـــة 2007-10-12:
42- حـوار/ بريـد الجمعة 236
الـسبـــت 2007-10-13:
43- العيد .. والناس.. والحب.. وربنا ! 249
الأحـــد 2007-10-14:
44- التحكُّمْ، والخوف من فقدهْ (3) 252

الإثنيـــن 2007-10-15:
45- بعض وصف بعض مصر (1) 261
الـثلاثـاء 2007-10-16:
46- من ملف القيم والأخلاق: بحث علمى شعبى !! (2) 267
الإربعاء 2007-10-17:
47- لغة الطبقة "البيئة"، والقيم اللاأخلاقية في الأمثال الشعبية 271
الخميـــس 2007-10-18:
48- نجيب محفوظ: قراءة فى أحلام فترة النقاهة (2) 278
الجمعـــة 2007-10-19:
49- حوار/ بريد الجمعة 282
الـسبـــت 2007-10-20:
50- التحكُّمْ، والخوف من فقدهْ (4) 289
الأحـــد 2007-10-21:
51- سؤال & جواب عن الإدمان 295
الإثنيـــن 2007-10-22:
52- التحكُّمْ، والخوف من فقدهْ (5) 301
الـثلاثـاء 2007-10-23:
53- "أدمغة" المدمن ومستويات الوعى (1) 307
الإربعاء 2007-10-24:
54- "أدمغة" المدمن ومستويات الوعى (2) 314
الخميـــس 2007-10-25:
55- قراءة فى "أحلام فترة النقاهة"(3) 324
الجمعـــة 2007-10-26:
56- حوار/ بريد الجمعة 329
الـسبـــت 2007-10-27:
57- التحكُّمْ، والخوف من فقدهْ (الأخير) 340
الأحـــد 2007-10-28:
58- السيرة الذاتية والإبداع(1) 346
الإثنيـــن 2007-10-29:
59- السيرة الذاتية والإبداع(2) 352
الـثلاثـاء 2007-10-30:
60- حالات وأحوال (طب نفسى) 359
الإربعاء 2007-10-31:
61-...فى مثل "ذلك" اليوم: "وعد بلفور" 370

**الإثنيـــــــن 08-10-2007**

## 38- الخـــــــــــوف مـــن الحـــــــــــب (2)

"مَنْ" يحب "مَنْ"...؟
(صفقات الظاهر، وأحلام التكامل!!)

مرة أخرى نتقدم خطوة فى محاولتنا سبر غور التواصل البشرى، مع تركيزنا على مايسمى **"الحب"**، آخذين العلاقة بين المرأة والرجل، كنموذج فقط، إذ يبدو أن القواعد والقوانين واحدة، مع اختلاف التجليات والسلوك والمجال والنوع والفرص!!

القصيدة المنتقاة اليوم هنا تحاول ان ترسم **تقاطعات** متحاورة بين **الذات الغاوية الظاهرة**، وبين **الفطرة الطفلية الطازجة الجاهزة المتخلقة معا.**

فى خبرتى المحدودة، كدت ألاحظ فى الكثيرات **تناسبا عكسيا** بين فرط التجمل والاهتمام بالشكل الظاهرى، (والديكورات، والإكسسوارات، والميك اب)، وبين مدى **الانسحاب الداخلى، والعجز عن التواصل المتعدد الأعمق للتكامل.**

هذه السدود التى نبنيها داخلنا طبقة وراء طبقة، ليست سدا واحدا كما تصورناها من الكلام الشائع عن التحليل النفسى الفرويدى (الذى ليس هو ما قال به فرويد تماما)، المسألة ليست مسألة شعور ولاشعور، وحاجز بينهما، ودمتم. المسألة هى مستويات وعى يقابلها مستويات دماغ نيورونية (مخية)، مرتبة هيراركيا بحسب تاريخ التطور من جهة، وتاريخ النمو من جهة أخرى، ثم علاقات **داخلية، بالتبادل أو بالتناوب أو بالتعاون أو بالتسوية المؤقتة أو الدائمة،** وكلها – فى أحوال السواء جدا ومع استمرار النمو- تتوجه فى نهاية النهاية (بلا نهاية) **نحو جدل خلاّق، يظل الوعى الفائق يتكون من خلاله باستمرار باستمرار، إلى أن يتصل الوعى الخاص بالوعى العام** (فى حالة إن لم يكن قد فقد جاذبيته فأصبح نيزكا كافرا) **فالوعى الكونى بالموت توجّها إلى بارئه تعالى.**

لن أمل من تكرار هذه الأساسيات **لأنها تمثل الخريطة الكبرى التى أتحرك من خلالها حتى وأنا أتناول مسألة الحب، أو: وبالذات وأنا أتناول مسألة التواصل البشرى عامة، التى من أهم تجلياتها ما نسميه الحب.**

من هذا المنطلق يمكن أن ننظر فى عنوان هذه الحلقة: "من يحب من؟" ونحن نتسائل :

حين نحب أو نُحَب، **أى مستوى وعى من كل هذا هو الذى يفعل ذلك؟** وإذا اقتصرت الصفقة (أنا أستعمل كلمة الصفقة بمعناها الإيجابى أساسا، وأحيانا بمعناها السلبى، فتاريخ الحياة والتآمر والبقاء، كله صفقات!!!)، أقول: إذا اقتصرت الصفقة على مستوى وعى دون الآخر، فما دور المستويات الأخرى؟، حالا (أثناء ممارسة بنود لاتفاق) ؟ ومستقبلا على المدى الطويل؟

وهل استبعاد المستويات الأخرى هو ضرورة أحيانا حتى يمشى الحال، أم هو خطر على طول الخط على مسيرة التكامل "معا"؟

**وهل يمكن أن ترجع مضاعفات العلاقات البشرية التى تظهر مع مرور الزمن إلى الإفاقة المتأخرة نتيجة لاختزال العلاقة إلى مستوى واحد دون الآخرين؟**

وما العمل؟

الذين يتناولون قضية التواصل بين البشر وكأنه تواصل بين اثنين أساسا، أو فقط، ثم يصنفون الحب على هذا الأساس، لهم وجهة نظر **سليمة**، لكنها فى نهاية النهاية **"محدودة"** (حتى بعض تصنيفات إريك فروم فى "فن الحب") مع أنك تستطيع أن تقرأ حدسهم بهذا التعدد دون إعلانه مباشرة، وهذا ما يجعل **بعض تصنيفاتهم مقبولة، ومفيدة.**

قصيدة اليوم تُظهر بعض هذا التعدد المتداخل فى محاولة عمل علاقة حب: حيث يظهر مستوى صفقة الغواية الخارجى، فى مقابل مستوى البحث عن الكيان الخائف الأكثر أصالة، ثم نرى حوار المقاومة، وأيضا مؤامرات **الخوف، و الاستبعاد، و الاختزال، و الامل.**

لكن : دعونا نقرأ القصيدة كلها على بعضها أولا كما اتفقنا:

**وعيون مكْحُولة مْنَدِّيـــة.**
**تِسْحِر وتشِدْ.**
**منديلْها على وش الميّة**
**مِستنّى تمْدْ:**
**إيدك، تسحِبْها تروح فيها،**
**ولا مِنْ شاف حدْ.**
**(1)**
**ماتكونشى يا واد الندّاهة؟**
**حركات الجنّية إياها؟**
**أنا خايف مِاللى مانيش عارْفُهْ.**
**أنا شايفْ إللّى مانيش شايفُه.**
**وتلاحِظ خوفى تْطَمّنى.**
**وتقولّى كلام، قال إيه يعنى :**
**ماتبصّش جوّه بزْيادة،**
**خلّيك عالقدْ.**

شوف حركة عودى الميّـادَة،
شوف لـــــون الخدْ
(2)
وأحس بهمْس إللى معاها،
أنـــــوى أقرَّبْ.
وأشوف التـانيـة جُـــوَّاهَـا،
أحلى وأطيبْ.
والخوف يغالبنى من ايّـاهَـا،
لأ. مش حَـاهـربْ.
والطفلة تشاور وتعـافر،
بتقـرّب، ولاّ بـتـتأخـرْ؟
وانْ مدّيت إيدى ناحيتها، بتخاف وتكِـشْ.
والتـانية تنط تخلـيـها: تـهـرَبْ فى العِـشْ.
دى غيامةْ كـِدب وتغطـيّة، ومؤامرة غِشْ.
(3)
وماصـدّقشى،
ولا اسلّمشى،
أنا واثق إنها ما مَـتـتْـشى
أنا سامع همس الماسْكـتْشي
مش حاجى، لو هيّه ما جَاتْـشِى.
(4)
- جرى إيه يا أخينا؟ عَـلي فـِنْ ؟
حَاتْـصـحّى النـايـمْ؟ بـِضمانْ إيه"؟
جَـرَى إيه؟
مش عاجـبـك رسمى لـِحَـواجْـبى، ولا لُـونْ الرُّوجْ؟
مش عاجبك تذكرة الترسو، ولا حتى اللوجْ؟
ما كَفاكْشى زواق الباب؟
هيّه وكالة من غِرْ بَـوابْ؟
أنا مش ناقصة التقليبة دِيّـة،
ولا فيش جوّايا "الْمِشْ هيّة"،
ولاَ فيه بنْـوتـة بـمَـرايلْهَـا،
ولا فيه عيّـل ماسك ديلهاَ،
(5)
إوعى تخطّى، أبْعَـد مِـنّى، حاتْلاقى الهِـوْ.
البيت دا ما لوهْشى اصْحـابْ.
دُولْ سَـافروُا قَـبـلْ ما يـِيـجـوا.
من يوم ما بنينا السدْ:
السد الجوّانى التانى.
وانْ كان مش عاجبكْ، سدّى البرّانـى.
تبقى فقست اللعبة،
ومانيـشْ لاعبةْ.
(6)
دوّر على واحدة تكون هِبْلهْ،
بتْسوُرَقْ منْ حَصْوة نِبْلهْ.
تديلك قلْب الحسّاية!!
ومالكشِى دعوة بْجُوّايَا

.....
يا ما كان نفسي،
بس ياروحْ قلبي "ما يُحْكمشِي".
***

**نقرأ معا:**

النداهة، في بلدنا هي جنية تظهر ليلا على سطح الترعة، في صورة منديل حريمي جميل أو أي إشارة جاذبة تسترعي الانتباه، بحيث تغرى المار على شاطئ الترعة بالذهاب نحوها، **أولا:** من حب الاستطلاع، **وثانيا:** منجذبا انجذابا سحريا للمجهول الجميل الواعد من الظاهر (منديل على سطح الماء، يتموج خفيفا مع همسات حركة ماء الترعة)

وعيون مكْحُولة مْنَدِّيـــة.
تسحِر وتشد.
منديلها على وش الميّة
مِستنّى تمدْ،
إيدك، تسحبْها تروح فيها،
ولا مين شاف حدْ.

قلت في البداية أنني لم أعد أفاجأ من التناسب العكسي بين مدى العناية بالمظهر الخارجي، وتمادي البرود الداخلي لكثيرات ممن تتاح لي الفرصة لفحص هذين المستويين في خبرتي المهنية أساسا. بل إن المسألة تتعدى الديكورات والمظهر الخارجي إلى حضور الجاذبية الحقيقية، بما لا يتناسب مع حقيقة وعمق التجاوب في النهاية. (تحذير من التعميم: أحيانا – ليست قليلة – تكون هذه العناية بالخارج، نوعا من احترام الجسد، ويكون الجمال الخارجي، حتى المصنوع منه بإتقان، إشارة إلى الجمال الداخلي، لكن هذا هو الأندر).

في بداية هذه القصيدة، يبدو أن التركيز كان على السحر والشد، والغواية، ويبدو أن الوسائل كانت ناجحة لدرجة ثقة النداهة بسحرها القادر على جذب السائر على شط الترعة حتى تسحبه إلى غير رجعة (هذا ما يُحكى عن الجنية النداهة في بلدنا، وهو بعض ما استلهمه يوسف إدريس في قصته النداهة). وهو ما خالج صاحبنا من أن هذا الجذب الساحر، يحمل وراءه الاختفاء الغامض، المرعب، ومع ذلك: هو يواصل الانجذاب، وهي تواصل الغواية:

ماتكونشي يا واد النـدّاهة؟
حركات الجنّية إياها؟
أنا خايف مِـالـلـى مانـيش عارْفُهْ.
أنا شايفْ إللّي مانيش شايفُـــه.
وتلاحِـظ خوفْ تْـطَـمّنى.
وتقولّي كلام، قال إيه يعنى:
ماتبصّش جوّه بـزْيادة،
خلّـــيك عالقَـــدْ.
شوف حركة عودي الميّـادَة،
شوف لـــون الخدْ

يقترب صاحبنا من السطح، لكنه لا يكون منجذبا انجذابا خالصا لسحر الغواية، إذْ يبدو أنه يريد ما وراء ذلك، فتلاحظ هي أنه بقدر ما هو خائف، يقترب ويرجو ما تحت السطح، فتنبهه أن الصفقة ينبغي أن تقتصر على هذا المستوى (يمكن أن ترجع للحلقة السابقة: الوجبات السريعة **link)** نعم، هي تنبهه ألا يتجاوز الحدود، وأنه إن كانت ثمة صفقة فهي محددة المناطق (قارن هامش رقم "1" في الجزء الأول "الخوف من الحب" **link)**، وأنه غير مسموح له أن يخطو إلى ما بعد السطح **(ما تبصش جوه بزيادة، خليك عالقد)** ولتحقيق ذلك ى تذكره بجمال خارجها، وميادة عودها، ووردية خدودها.؟؟ إلخ،

هو يستمع إلى كل ذلك، لكن يأتيه همس من الأعماق، فيقترب، لا ليقبل الصفقة الظاهرية بشروطها، وإنما هو يقترب أملا في التواصل مع الهمس الآخر الذى يناديه بلغة أخرى، لعلاقة أخرى:

**وأحس بهمْس إللى معاها،**
**أنـــوى أقرَّبْ.**
**وأشوف التانية جُـــوَّاهَـا،**
**أحلى وأطيبْ.**
**والخوف يغالبِنى من ايـّاهَـا،**
**لأْ. مش خَـاهـرِبْ.**

يستجيب صاحبنا فعلا، لكنه لا يستجيب لنداء السحر الجذاب، وإنما هو يشعر بأن الأخرى تناديه من قاع الترعة، ربما **هى عروس البحر الطفلة الفطرة**، وهى "أحلى وأطيب"، فهو لا ينجذب إلى المنديل على سطح الماء، بقدر ما يأمل في تلك الأخرى الأجمل والأطيب، لكنه يخاف (تماما مثلما كانوا يخوّفوننا من الاقتراب من الترعة ليلا حتى لا تخطفنا النداهة)، فيهُمّ بالتراجع خوفا من التى على السطح، **(والخوف يغالبنى من اياها)** التى هى مستعدة للالتهام بمجرد أن يمد يده، ولو كان يبحث عن الجميلة في القاع وراء البرميل، والساحرة منتظرة متحفزة تلوّح بمنديلها **(مستنى تمدّ: إيدك تسحبها تروح فيها، ولا مين شاف حد)**.

ثم ها هو يتراجع عن التراجع **(لأْ مش حاهربْ)** ويبدو أن موقفه ورؤيته وحنينه إلى تجاوز هذا الظاهر المغرى، قد وصل إلى صاحبة الشأن في الداخل، إليها صاحبة النداء الهامس،

ولكن هل ثمّ سبيل؟ وصاحبتنا على السطح تقف شامخة ساحرة بكل هذه الغواية والقوة؟

**والطفِلة تشاورْ وتعـافرْ،**
**بتقـرِبْ، ولاّ بـتـتـأخـرْ؟**
**وانّ مدّيت إيدى ناحِيتها، بتخاف وتكشْ.**
**والتانية تنط تخلـــيها: تـهـرَبْ في العِـشْ.**
**دى غيامةْ كـــدب وتغطـــيّة، ومؤامرة غِشْ.**

مثلما ذكرنا في الجزء الأول **link** ، فإن الوعى الداخلى،

مهما بدا أنه يحتج على هذه الصفقات الخارجية ويعرّيها،

فإنه أضعف من أن يتجاوزها أو يحتويها، وهو بهربه هذا، يشارك فى إتمام صفقة الخارج، بطريق غير مباشر، وهاهى الأخرى "تخاف وتكش"، وكيف لا، والتى على السطح بكل هذا العنفوان الاستبعادى "**(والتانية تنط تخليها تهرب فى العش)**، فهل يرضى صاحبنا بما تيسر من الظاهر، وهو مغر ولذيذ (راجع لذة الوجبات السريعة) **link** ، وهل يقتنع أن الأخرى الداخلية لم تعد فعلا فى المتناوَل؟ هل يصدّق؟

لا؟ إنه يبدو أشد إصرارا، فهى مهما بعدت ما زالت هناك، لم تمُتْ، ولن تموت :

**وماصدّقشى،**
**ولا اسلّمشى،**
**أنا واثق إنها ما مَتِتْشِى**
**أنا سامع همس الماسْكِتْشِي**
**مش حاجى، لو هيه ما جَاتْشِى.**

نعم، لم يسلم، وواصل نداءه الصامت، كما واصل استماعه إلى صمتها الذى لم يسكت "**أنا سامع همس الماسكتشى**"، والأخرى – على السطح – تتصور أنه وهو يقترب، يقترب منها، من أجل غوايتها، لكنه يعلن شرطه بوضوح، أنه إن تقدم فإنه يتقدم للأخرى "**مش حاجى لو هيا ما جاتشى**"، ولا يوجد ما يشير إلى أنه يستبعد هذا الظاهر، وإنما يبدو أنه قبلهما معا.

تنبيه واجب هنا : إن المسألة هى ليست "إما أو "، اللهم إلا إذا أصر "**السطح**" على استبعاد كل ما عداه، إن علاقة الحب الحقيقية هى حب لكل المستويات، بكل المستويات، بما فى ذلك حب الغاوية السطحية، **ولو بابا إلى العمق، ولكن ليس على حسابها،**

لكن التى على السطح هنا لا تعترف إلا بنفسها، ولو وصل الأمر إلى تفضيل أن "**تلعب حبا" بدلا من أن "تحب" link** ، ها هى تنبرى لتحول بينهما، بالمنع والتحذير والتشريط:

**– جرى إيه يا أخينا؟ عَلى فِيْن؟**
**حَاتْصَحّى النايِمْ؟ بِضمان إيه"؟**
**جَـ**
**إوعى تخبّى رَى إيه؟**
**مش عاجبك رسمى لِحَواجْبى، ولا لُونْ الرُوجْ؟**
**مش عاجبك تذكرة الترسو، ولا حتى اللوجْ؟**
**ما كَفاكشى زواق الباب؟**
**هيّه وكالة من غير بّوابْ؟**

ننتبه هنا إلى أن هذه الغاوية ليست راضية تماما عن هذا الانشقاق حتى لو حقق **لذة الوجبات السريعة**، وعلينا أن نتذكر أنه "إيش رماك على أن **تلعب حبا، قال قلة الحب**". هذه التى على السطح تريد ضمانا (بضمان إيه؟)، وهى مهما

قدم لها من ضمانات (بما فى ذلك ورقة الزواج، فى الأغلب) لن تسلّم – طالما هى منفصلة هكذا- **ولا تسمح لجميعها أن يشاركوا فى العلاقة المتعددة المستويات، أى فى علاقة حب.** وليس لعبة حب، فهى تتعجب من عدم رضاه بكل ما فعلت لإغوائه ليكتفى بهذا الظاهر (**ما كفاكشى زواق الباب، هيا وكالة من غير بواب؟**

وبرغم ذلك، فهى لا تخشى تحريك الداخل لمجرد الخوف من أن يحل هذا الداخل محلها، **هى تخشى أن ترتبك حسبتها التى اكتفت بالظاهر**، والتى هى قادرة ومستعدة أن تتمتع به مهما كانت مدته قصيرة، أو نهايته التهاما (**مستنى تمد :... إيدك تسحبها تروح فيها، ولا من شاف حد**)، هى تخشى إذن أن تتقلب هى نفسها، أن تتألم وهى تحاول أن تتكامل، أن تضع فى الاعتبار هذا الاحتمال الآخر، هى تخشى الحب الحقيقى الذى يقلّب ويؤلم ويدهش ولا يكتفى بالإغواء اللذيذ السريع الأضمن

**أنا مش ناقصة التقليبهْ ديّـــة،**
**ولا فيش جوّاىَ "الْـمِشْ هيّة"،**
**ولاَ فيه بنُـوتـــة بـمَـرايلْهَـا،**
**ولا فيه عيّـل ماسك ديلهاَ،**

ولا يتحقق لها (التى على السطح) ما تريد إلا بمحو كل احتمال آخر، ليس فقط بإنكار عروس البحر الطيبة الحلوة بداخلها، وإنما بإنكار أن أحدا يريد هذه الأجمل والأطيب ليلعبا معا (**ولا فيه بنوتة بمرايلها، ولا فيه عّيل ماسك ديلها**)

لكن يبدو أن صاحبنا ينكر إنكارها هذا، فهو يستمر فى النداء الخفى من ورائها، لكنها تضبطه متلبسا فتسمعه، فتنبهه إلى التاريخ الصعب الذى اضطرها أن **تفضل الرضا بلذة الجزء عن المغامرة بجدل الكل**، فهى تنهره منعا باتا أن يتخطى حدوده، مذكرة إياه أن الباب المقفول ليس ورِاءه إلى فراغ الخواء بلا حدود، وما لا يدرى م سدود.، **أبْعـد منّى، حاتْلاقى الهـوْ.**

**البيت دا مالوهْشى اصْحَابْ.**
**دُولْ سَافروُا قَبْلْ ما يِيجُوا.**
**من يوم ما بنينا السدْ.**
**السد الجوّانى التانى.**
**وانْ كان مش عاجبكْ، سدّى البرّانِى.**
**تبقى فقست اللعبة،**
**ومانيشْ لاعبةْ.**
**هنا وقفة مهمة :**

أنا لا أميل إلى التركيز عليها نظرا لما شاع فى التحليل النفسى من **تبرير وتوقف عند التفسير بدلا من الانطلاق من الموجود**، لكنها وقفة شديدة الأهمية مهما كان احتمال سوء فهمها، أو سلبية استعمالاتها. إن العلاقات البشرية تنبنى

فعلا على أساس **سلامة لبنات التواصل الأولى** التى توضع **فى محلها، فى وقتها، لغرضها، والتى يبنى بها بيت الثقة فالكيان،** إن التى (أو الذى) تستطيع أن تطلق داخلها ليشارك فى (لا ليستقلّ بـ) عملية الحب، لا بد أن تكون قد اطمأنت طفلةُ (أو بعد ذلك فى أى **ولادة جديدة** فى **أزمات النمو**) إلى أنها ليست وحيدة، إلى أنها جزء من آخرين **يريدونها ويعترفون بها فتزيدهم وتعترف بهم،** هكذا تتاح لها الفرصة أن **تبنى نفسها "بيتا"** (وليس لنفسها بيتا) ، بيتا له أصحاب، هى أولهم، **وليست آخرهم،**

فهى بإعلانها هنا أن **"البيت دا ما لوهشى اصحاب"** إنما تعلن سبب هذا الهروب الكبير، وإحلال المنديل على سطح الترعة، محل جنية البحر الطفلة الفطرة الجميلة، أما أن البيت ليس له أصحاب فلأنهم كانوا أشباحا لم يحضروا واقعا مغذّيا أمانا أبدا، مهما تحركوا يلعبون لعبة تشبه الحياة، يلعبونها سرا مع أنفسهم، ويختفون قبل أن يظهروا **"دول سافروا قبل ما ييجوا"**

لكن هل يعقل أن يبنى طفلا ذاته (بيته) دون أن "ينتمى" أصلا؟ وكيف ينتمى وهو منذ وُجد لم تواجهه إلا الحواجز التى أقيمت لتحول دون التواصل الحقيقى **(القبول والاعتراف والأخذ والعطاء)** فحالت فعلا منذ البداية، بل قبل البداية، دون إلقاء بذرة الحب التى يمكن أن تؤتى أكلها كل حين "حبا حقيقيا متجددا" ؟ ذلك الحب المتعدد المستويات التى قررت صاحبتنا الاستغناء عنه **من يوم أن أقاموا السد (السد الجوانى التانى)** ، إذن: فالحاجز الذى تقيمه من الغواية الآن فيحول دون العلاقة المتكاملة ليس هو السبب الاساسى فى الإعاقة الحالية، وإنما السبب التى يرجع إلى الحاجز القديم **"السد الجوانى التانى"**، أما هذا السد البرانى، فكان المطلوب منه أن يقوم باللازم ليحقق المراد الجزئى فى وجبة سريعة، **أو فى وجبات رسمية راتبة، كنظام الوجبات المستخرجة من "الديب فريزر على طول المدى.**

أما إذا جاء أحدهم -مثل صاحبنا- واكتشف السر، وهو يستشعر ما وراء حاجز الغواية هذا، فقد رأى ما كان ينبغى له ألا يراه، وبالتالى فليذهب ليبحث عما يريد بعيدا عنها"، فها هى تنبهه - ساخرة - إلى أن من تقبل منه أن يلعب معها هذه اللعبة التى تبدو له أجمل وأولى، هى ليست إلا مُنشقّةٌ أيضا (عبيطة، هبلة)، حث أنها لا تعرف مايتنظرها، ولا تعرف حدود لذتها، ولا تعرف مخاطر رحلة تكاملها، فهى سوف تستجيب مسحورة (بتسورق) لأى إشارة واعدة، إذ من أين لها بحسابات المعلّمة الأخرى (التى تحتل السطح).

**دوّر على واحدة تكون هبْلهْ،**
**بتْسوُرَقْ مِنْ حَصْوة نبْلهْ.**
**تديلك قلْب الخَسايةْ!!**
**ومالكشِى دعوة بْجُوّايَا**

**يا ما كان نفسي،**
**بس ياروحْ قلبي "ما يُحْكمشِي".**

**وبعد**

لست أدرى هل وصلكم كمّ الأمانة والصدق اللذان يبرران موضوعيا : **الخوف من الحب،** حتى الرفض، برغم الرغبة فيه رغبة لا شك فيها **"يا ما كان نفسي،"** رغبة تموت بالسخرية قبل أن تظهر **" بس يا روح قلبي ما يحكمشي".**

يبدو أن من يريد أن يحب، ولا يكتفى بأن يلعب حبا ، عليه أن يغامر بأن يعطى ويأخذ **"قلب الخسايـة،** ولايكتفى بأوراقها أو رأسها.

**ولكن هل يكون للخسايـة قلب إلا إذا أحاطته كل هذه الأوراق التى ذبلت وجفت من فرط قيامها بدورها الرائع فى الحماية والدفاعات؟ إن من يريد أن يلقى بهذه الأوراق الصلبة ليكتفى بقلب الخسايـة هو أيضا ليس محبا، وإنما هو قناص مستسهل.**

**وبعد (مرة أخرى):**

خيل إلى أن المسألة أصبحت أصعب. ليكن.

قلنا من البداية، حتى لو لم يكن لدينا بديلا: **"نستعمل الواقع (الخطأ)، لا نستسلم له، ونرفضه حتى نغيره".**

فهل نستطيع ذلك فى مسألة الحب هذه؟ (ربما مثلها مثل مسألة الديمقراطية والحرية والمال، وأشياء أخرى كثيرة)، **وإذا لم نستطع فهل يمكن أن نرضى بالموجود باعتباره النقص الواجب، أم نستسلم له باعتباره البديل الدائم طالما لا يوجد غيره.**

**أمس :** سألتكم هل أكمل فى هذه المواضيع التى لا يبدو لها حل فى الأفق القريب، ولم أنتظر الإجابة، فخرج من هذا الجزء رغما عنى ولقد عددت –أمس أيضا– مخاطر هذا المستوى من التعرية، واعتذرت (لا ، فأنا عادة لا أعتذر، أصحح إن أخطأت، ولا أعتذر)

**تـُرى هل أصبحتْ المسألة أسهل أم أصعب؟**

وهل سنصل إلى معالم حل فى نهاية النهاية، ولو حتى لنتعرف على اتجاه أسهم نحو المسار الصحيح

آمل

ولا أعتقد

لكن دعونا نحاول،

**وإلا – مرة أخرى – فلماذا هذه اليوميات هكذا؟ ولماذا الإنسان والتطور؟**

**الثلاثـــــــاء 09-10-2007**

## 39- "طاغـور" يـرد "عليهـا" قبـل أكثـر من نصـف قـرن

الطفل "الخاص"

[أغنية قبل النوم]

-1-

طفلى طفلى
طفلى طفلى
طفلى ليس كمثل الأطفال
طفلى جاء على غير مثالْ
طفلى الخاص
ملكى الخاص
الضحكة غير الضحكةْ
والصرخة أحلى صرختْ
واللفتة، والبسمة، والغمازةْ
الأرجوحةُ هزّازةْ
تعلو بابنى عبر سماءٍ، بين سحاب، وجبالْ !!
يهبط كملاكٍ فى حضنى
أخفيه بين ضلوعى: قرة عينى

-2-

طفلى طفلي
طفلى طفلى
طفلى ذَهَبَ،
طفلى عادْ
طفلى تماماً مثل الأولادْ،
أولاد الناس"
أكذبُ مثلى مثلَ الناس.
إذْ لو أنى قلت حقيقةَ نفسي
أو قالت مثلى من هُنّ كمثلي
تشتعل الحرب بغير أوان
فى كل الأزمانْ
بين الناس الأطفال
فالأطفال الناسْ
أطفال الناسْ
أفضل دوْماً
من كل الناس

1980 -1983ديوان "البيت الزجاجى ... والثعبان"
1861 -1941 فيرد الطفل على لسان طاغور

لو أنى لم أكنْ طفلك، يا أمى الحبيبة، بل كنت جروا صغيرا، تُراكِ تنهينى قائلة: مهْ، إنْ حاولتُ أكل من صحنك؟

تُراكِ تزجرينى، قائلة: إذهب أيها الجرو الشرير.

على رسلك يا أمى، على رسلك، لن آتى إليك حين تنادينى، ولن أدعك تطعمينى بعد الآن.

لو أننى لم أكن طفلك يا أمى، بل كنت ببغاء صغيرة، تُراكِ تقيّدينى، خشية أن أطير؟

تراكِ تتوعدينى بإصبعك قائلة: أيها الطائر القبيح الذى لا ينى ينقر قيده، فى الليل والنهار.

على رسلك إذن، يا أمى على رسلك، سوف أعدو هاربا إلى الغابة، ولن أدعك تضمينى بذراعيك بعد الآن.

**الإربعـــــاء 10-10-2007**

## 40- التحكُّـــمْ والخـــــوف مـــــن فقـــــدهً (2)

**اللعبتان: الثانية، والثالثة**

**الثانية: "لو عارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى، وساعتها..."**

**الثالثة: "أسيب نفسى بتاع إيه .. ده أنا حتى ...."**

ضيوفنا الكرام هم نفس ضيوف **حلقة "التحكم والخوف من فقده"** (من برنامج **"سر اللعبة" بتاريخ 30-3-2005**)

**السيدة:** منى، كلية الفنون الجميلة

**الأستاذ:** فوزى، مدرس تربيه فنية

**الأستاذة:** سوزان، صحفية

**والدكتور:** هانى مدرس مساعد (طب نفسى) جامعة 6 أكتوبر

(ملحوظة: للمتابعة، خاصة لمن لم يشاهد اللعبة الأولى يمكن الرجوع للأرشيف اليومية 2007/10/3 **"يا خبر!! .. دانا لو سبت نفسى، يمكن")**

***

**اللعبة الثانية:**
**لوعارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى، وساعتها...**

**أ/ سوزان:** يا منى لو عارفه إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى .. **وساعتها كنت حاكون على راحتى وعلى مسئوليتي.**

**أ/ منى:** يا أستاذ فوزى لو عارفه إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى .. **وساعتها يتحمل اللى يجراله بقى.**

**أ/ فوزى:** يا دكتور يحيى لو عارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى .. **وساعتها ذنبه على جنبه بقى ، يعنى هايشوفنى على حقيقتي.**

**د/ يحيى:** يا دكتور هانى لو عارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى .. **وساعتها أفرح بجد، حابقى مش مصدق.**

**د/ هانى:** عزيزى المشاهد لو عارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى .. **وساعتها هاطلّع الطفل اللى جوايا.**

آراء بعد اللعب

**د/ يحيى:** حد وصلّه حاجة جديدة؟
**أ/ فوزى:** أنا وصلنى: حاجة مستعجلة جداً، حسيت إن نفْسى حد يستحملنى فعلاً، أنا فعلاً حاسس إن مافيش حد بيستحملنى فعلاً مش عارف ليه، لو سبت نفسى ليه مش عارف هايستحملنى ولا لأ، شاكك فى ده.
**أ/ منى:** أنا وصلنى: جلْو أوى إن حد يكون لِيهْ واحد يقدر **يحبه ويحتويه** بالقدر اللى يستحمله **باللى جواه.**

[**تنبيه د/ يحيى:** اللى وصله وصله واللى ما وصلوش ما وصلوش، ممكن إللى وصلّه يقول وصلنى من غير ما يقول إيه اللى وصلنى، هو حر]

## ملحوظة قبل الملاحظات والتعقيبات

(تأكيد مبدئى: هذه المحاولة، مثل كل محاولة، ليست إلا اجتهاد فرضى، لا هو حُكْم دامغ، ولا هو علم مسلّم به. ويمكن لكل قارئ ان يصل بنفسه لنفسه (أو لغيره) إلى ما يرى، كما قد يتورط فيجد نفسه قد غرق فى رؤية -لنفسه- كان يود أن يتجنبها الآن على الأقل).

## الملاحظات والتعقيبات

### أولا: الملاحظات العامة

1- يلاحظ أن وضع الشرط الأول "*لو عارف إن حد حايستحملنى*"، قد سمح للجميع أن يركزوا على أصعب ما فيهم، أو أبعد ما فيهم، ذلك لأن الاستحمال لا يكون إلا لشىء صعب أو ثقيل عادة.

2- إن السماح بـ "سيبان النفس"، فى حماية أو حضور من يتحمل ما يترتب عليه، بدا احتياجا بقدر ما بدا سهلا،

3- إن الإشفاق على هذا الذى تصدى للاستحمال كان دليلا على نوع من **العشم المسئول** مِنْ مَنْ تصدى لهذه المهمة **(يستحمل اللى يجرا له - ذنبه على جنبه)**

4- إن وجود هذا الذى يتحمّلنا سمح بإظهار حقيقتنا من ناحية (يشوفنى على حقيقتى) كما سمح للطفل داخلنا أن يظهر وهو أيضا جانب آخر من الحقيقة، وليس نكوصا

**ثم نبدأ فى مناقشة كل ضيف على حدة.**

### ثانيا: المناقشة: واحد/واحدة

*سوزان: يا منى لو عارفه إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى .. وساعتها كنت حاكون على راحتى وعلى مسئوليتي.*

**أنْ تجمع** سوزان بين المسئولية وبين أن تكون على راحتها بدا أمرا غير مألوف، أو غير متوقع، إذ نحن نتصور عادة أن الواحد إذا أخذ راحته فى حضور من يتحمله فإنه يترك المسئولية على هذا الذى يتحمله، لكن أن تجمع سوزان بين حملها المسئولية وبين أن تترك نفسها على راحتها فى حضور من اطمأنتْ لتحمله إياها، جدير بأن نتعلم منه أن الطمأنينة التى تولد الثقة غير الطمأنينة التى تغرى بالاعتمادية، وفى نفس الوقت نلاحظ أنها لم تعقب بعد اللعبة، وكأنها ربما اكتفت، فى مساحة ما من وعيها، بما اكتشفناه حالا.

***منى:*** *يا أستاذ فوزى لو عارفه إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى وساعتها يتحمل اللى يجراله بقى.*

**منى** فى اللعبة لم تزد عن الإشارة بلطف غامض إلى أن مَنْ يتصدى للقبول والتحمل عليه أن يكون على مستوى ما تصدى له **"يتحمل اللى يجراله بقى."**

ثم جاء تعقيبها بعد اللعبة، دليلا على فرحتها باحتمال وجود مثل هذه الفرصة التى تسمح لها بأنْ تترك نفسها بما بها (باللى جواها) لمن "يحبها ويحتويها: وجُمع **الحب مع الاحتواء** يبدو لى هنا إيجابيا خصوصا إذا انتبهنا للجملة على بعضها.

***فوزى:*** *يا دكتور يحيى لو عارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى ..* ***وساعتها ذنبه على جنبه بقى ، يعنى هايشوفنى على حقيقتى.***

**إعلان فوزى** أن حقيقته قد تجعل مَنْ يستحمله مسئولا عن تصديه لذلك **"ذنبه على جنبه"**، يذكرنا بقول منى **"يتحمل اللى يجراله"**، لكن تعقيبه جاء أطول وأهم، فمن ناحية أعلن عن اكتشافه حاجته الشديدة لمِنْ يتحمله، ومن ناحية أخرى شكّ فى أن أحدا يمكن أن يتصدى لهذه المهمة، وبالتالى عاد يتشكك فى وجود من يتحمله .. **حسيت إن نِفسى حد يستحملنى فعلاً، أنا فعلاً حاسس إن مافيش حد بيستحملنى فعلاً مش عارف ليه**، لو سبت نفسى مش عارف حايستحملنى ولا لأ، **شاكك فى ده.**

يبدو أنه يوجد تناسب ما بين شدة الحاجة إلى آخر يتحمل، وبين الشك فى السماح بذلك، حتى إن وجدَ مَنْ يتصدى للتحمل. ربما تحرَّكت الاعتمادية داخل فوزى بشكل مهَدِّد حتى أنكر وجود من يستطيع أن يقوم بهذه المهمة أصلا، وبالتالى، وبرغم شدة حاجته، (أو بسبب شدة الحاجة) فقد فضّل أن يستر نفسه باستبعاد من يتحمل حتى لا تنطلق اعتماديته بلا تحجيم

***د/ هانى:*** *عزيزى المشاهد لو عارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى ..* ***وساعتها حاطلّع الطفل اللى جوايا.***

**د. هانى** اكتفى بأن يطلق طفله الداخلى تحت رعاية هذا الذى سيتحمل، وربما هو يتصور أنه يمكنه أن يعتنى به بنفسه، وربما دلّ ذلك أيضا على أنه شخصيا لا يحتاج من يتحمله حتى يسيب نفسه، لكنه سيتخفف من مسئوليته عن الطفل بداخله

(ويجوز أن كل ذلك ناتج نسبيا من وصاية مهنته – طبيب نفسى صغير – على تلقائيته)

**د/ يحيى:** *يا دكتور هانى لو عارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى ..* ***وساعتها أفرح مجد، حابقى مش مصدق.***

**د. يحيى** بدت فرحته حقيقية، مع أنه يكاد لا يصدق أن هناك من يستطيع أن يقوم بهذه المهمة وهو يعرف مدى ما يمكن أن يكبده من عبء، لكنه لم يمنع فرحته حتى لو لم يكَدْ يصدّق.

***

**اللعبة الثالثة**

**أسيب نفسى بتاع أيه!؟ .. ده أنا حتى ....**

**أ/ فوزى:** يا دكتور هانى أسيب نفسى بتاع إيه .. **ده أنا حتى مش عارف أسيب نفسى أصلاً.**

**د/ هانى:** يا أستاذة سوزان أسيب نفسى بتاع إيه .. ده أنا حتى بقالى كتير ماسبتهاش.

**أ/ سوزان:** يا دكتور يحيى أسيب نفسى بتاع إيه .. ده أنا حتى لو فكرت ماحدش هايغفرها ليا.

**د/ يحيى:** يا مدام منى أسيب نفسى بتاع إيه .. **ده** أنا حتى متغطى بالعافية ويا دوب.

**أ/ منى:** عزيزى المشاهد أسيب نفسى بتاع إيه .. **ده أنا حتى يدوبك الواحد بيعرف يمشى نفسه بالعافية.**

**آراء بعد اللعبة**

**د/ يحيى:** حد وصل له حاجة من اللى قاله او اللى سمعه أو الفكرة نفسها.

**أ/ سوزان:** أنا الفكرة اللى وصلتنى ان الناس دلوقتى مش بتغفر لبعضها.

[**د/ يحيى:** (تعقيب) زى مايكون قلة السيبان دى زى ما قال الأستاذ فوزى (اللعبة الأولى) بتحمى، بتحمينا من بعضنا، بس الظاهر بتحمينا لحد ما نبعد عن بعض.]

**أ/ فوزى:** دا اللى كان حيبقى تعليقى فعلاً، هو ده اللى حسيته فعلاً، إن الإنسان اللى مش سايب نفسه بيبعد عن اللى حواليه كلهم، وبالتالى كلنا مش سايبين نفسينا، فبالتالى بنبعد، يعنى أنا لو سيبت شغلى مش عارف أعمل إيه فى اللى مسئول عنى وعن اللى تحت إيدى واللى مشغلنى واللى واللى، مواويل كتيره حسبتها فى **ثانية** وأنا باتكلم.

**د/ يحيى:** ....(بعد) اللعبة الثالثة دى، أنا حسيت إن ده جيد، دا موجود ودا موجود.

**أ/ سوزان:** هى محتاجة حكمة فى إن الانسان يبتدى يوازن

أموره إمتى يسيب ومع مين.

**د/ يحيى:** نفس الحكمة (اللى بتتكلمى عنها دى) "إمتى يسيب وإمتى مايسيبش" أنا أظن دى (نفسها) قلة سيبان.... **السيبان سيبان!**

## الملاحظات والتعقيبات

**أولا: الملاحظات العامة:**

1- إن مقارنة السماح الذى عمّ الجميع أثناء اللعبة الثانية **"لوعارف إن حد حيستحملنى، يمكن أقدر أسيب نفسى،..."** مقارنته بالتراجع الذى كاد يعم الجميع من هذه اللعبة الثالثة، **"أسيب نفسى بتاع إيه"** يمكن أن نستنتج منه أن الوقوف عند لعبة واحدة أو التعجل بالتفسير بعد لعبة أو اثنيتن قبل أن نتناول القضية من أكثر من جانب، هو اختزال غير مفيد (وهذا ما رددنا به على الصديق محمد كامل فى بريد الجمعة الماضية يوم 5 أكتوبر 2007)

2- أظهرت هذه اللعبة عند البعض أن "التحكم" ليس مجرد حماية آنية، لكنه – مع طول استعماله- يصبح أسلوبا راسخا فى التعامل مع الذات د. هانى ، أ. فوزى، **(بقالى كتير ما سبتهاش- مش عارف أسيب نفسى أصلا)** فحتى لو صدر قرار "السيبان" فى ظروف أفضل من التى ألجأت الواحد منا إلى فرط التحكم (دون أن يدرى فى الأغلب)، فإن التعود على التحكم فى ذاته (بلامبررات كافية) يصبح عائقا ممتدا ضد النمو.

3- بدا عند آخرين أن التحكم مستمر بالكاد (د. يحيى ، أ. هانى بالتتالى: **ده أنا حتى متغطى بالعافية ويادوب – يدوبك الواحد بيعرف يمشى بالعافية**) وهذا يشير إلى أنه إذا أضيف إلى أى منهما سماح جديد، لكان أكثر مخاطرة، وبالتالى تقفز المقاومة **"أن السلامة أولا"**، وأنه لا داعى للسيبان الذى بدا أن اللعبة تغرى به المشاركين، هذا علما بأن كشف ذلك فى ذاته يقلل المقاومة (أسيب نفسى بتاع إيه ... إلخ)

4- مناقشة ما وصل من اللعبة بعد اللعبة كانت أكثر ثراء مما حدث فى اللعبة الماضية ، صحيح أن اثنين فقط هما اللذان شاركا فى المناقشة، لكن الأمور اتضحت أكثر بالأخذ والرد

**ثانيا: المناقشة واحدا واحدة**

**** أ/ سوزان:** يا دكتور يحيى أسيب نفسى بتاع إيه .. ده أنا حتى لو فكرت ماحدش هايغفرها ليا.*

اتفق ما قالته **سوزان** أثناء اللعب، مع تعقيبها بعده **("ما حدش حايغفرها ليا"** ثم تعميما بعد اللعبة: **"الناس دلوقتى مش بتغفر لبعضها")** إلا أن تعقيب د. يحيى: أشار إلى

استجابة فوزى فى **اللعبة الأولى** حين قال عن التحكم **"إنه بيحميني من علاقتي او بيحمى غيرى منى"**، حيث أضاف: (د.يحيى) "... زى ما قال الأستاذ فوزى، بتحمينا من بعضنا"، لكن د. يحيى أكمل بما لم يُقل حين نبّه **"..بس الظاهر بتحمينا لحد ما نبعد عن بعض".**

يلاحظ هنا أن هذا البرنامج لم يقصد به مجرد التسلية أو الترويح والمفاجأة، ولا حتى قصد به شرح ماهية النفس فقط، بل لعله بطريق مباشر أو غير مباشر كانت به جرعة غير نصائحية للوقاية، لهذا علينا أن نأخذ تعقيبات المسئول (د. يحيى) على أنها قد تقوم بهذا الدور أحيانا، وكأنه ينبه: أنه لا مانع من أن نحمى أنفسنا من بعضنا البعض بدرجة من التحكم، لكن ليس إلى درجة أن "نبعد عن بعضنا البعض" لدرجة الزيف والسطحية.

ومع أن تعقيب د. يحيى كان على كلام سوزان من أن "الناس مش بتغفر لبعضها، الذى لم تكن فيه إشارة إلى بُعْد الناس عن بعضها"، إلا أنه يبدو أن ما أضافه د. يحيى كان إشارة ضمنية إلى أن عدم الغفران هو نتيجة هذا البعد، بمعنى: **كيف أغفر لك أو تغفر لى وأنت لا تعرفنى وأنا لا أعرفك ونحن نحرص كل الحرص على كل هذه المسافة بيننا تحسُّبا وتحكُّما؟!!**

** أ/ فوزى:* ***يا دكتور هانى أسيب نفسى بتاع إيه .. ده أنا حتى مش عارف أسيب نفسى أصلاً.***

**فوزى:** جاء تعليق فوزى مباشرة بالموافقة على ماقاله د. يحيى: "ده اللى كان حايبقى تعليقى فعلا، هوا ده اللى حسيته فعلا (إن) الإنسان اللى مش سايب نفسه ، بيبعد عن اللى حواليه"-

إلى هنا وجاء كلامه متفقا مع رأى د. يحيى، لكن ما أكْمَلَ به كان بعيدا عن هذه الرؤية بدرجة لم أفهمها، حين تكلم عن أنه يسيب الشغل ..إلخ، هل يا ترى كان يمحو هذه الرؤية الأولى التى أقلقته فانحرف مسار الكلام بعيدا عن هذه الرؤية لنفسه إلى "أى سيبان" والسلام؟ يجوز!. خصوصا وأن استجابته فى اللعبة نفسها كانت على هذا المستوى **"دا انا حتى مش عارف أسيب نفسى أصلا"**، لكن ليس هذا هو كل ما هنالك، تعالوا نرى كيف أنهى تعليقه قائلا:

**"..."مواويل كتيرة حسبتها فى ثانية وانا باتكلم**

أنتهزها فرصة هنا لأنبه على عدة مبادئ منهجية، ليس فقط للقارئ العادى، ولكن للزملاء (الأطباء أو المعالجين) ربما الأصغر أهم – وخصوصا الذين لم تتح لهم فرصة مشاهدة العلاج الجمعى مباشرة:

**أُجْمِلُ بعض هذه المبادئ فيما يلى:**

أ- إن مثل هذه الألعاب **تحرك "ما لا نعرف"** مما **لا يمثل بالضرورة ما أُعْلَن بالألفاظ إلا أقله**، وأحيانا تكون

الألفاظ فى عكس ما تحرك فى الوعى فعلاً، وأحيانا تكون هامشية بالنسبة لما تحرّك.

ب- إن تحريك "الداخل" قد يصل إلى صاحبه "مجتمعا معا" دون تمييز التفاصيل **(مواويل كتيرة)**

ت- إن "الزمن" الذى يحدث فيه هذا التحريك قد لا يستغرق فعلا أكثر من "ثانية" وربما أقل، ونحن فى الحياة العادية لا نستطيع أن نضع ذلك فى الاعتبار أصلاً.

د- إن "حسابات" ما يحدث لا تتم شعوريا، ولا بالتفصيل، ولا يجوز أن نسأل عن **"حسبة أو حساب مواويل كتيرة فى ثانية"**، ذلك أن تلك الاسئلة المعقلنَة المعطِّلة ليس لها إجابة، فمن ذا الذى يستطيع أن يحصر ما تحرك فى ثانية، ثم كيف يحسبها، والنتيجة (أن ثَمَّ تحريكا) هى المهمة، بما يترتب عليها.

..... .....

حين أضاف د. يحيى رضاه عن مستوى النقاش فى هذه اللعبة الثالثة، ربما كان قد وصله بعض ما سبق مما يرصده الآن بعد أكثر من عام من عرض البرنامج،

لكن نلاحظ كيف عقّبت سوزان على كل ما دار بحكمة **"عادية"**، يمكن أن تقال من أى أحد بدون كل هذا الذى حدث، وذلك حين قالت **"هى محتاجة حكمة فى إن الانسان يبتدى يوازن أموره إمتى يسيب ومع مين"**. حين تختم مثل هذه الألعاب، سواء فى العلاج الجمعى، أم فى مثل هذا التجريب مع الأسوياء، بالأمثال أو الحكم المعادة أو النصائح الراتبة، **فإنه يجب الانتباه إلى أن هذا ليس هو المراد**، ولقد لاحظت فى كثير من البرامج التليفزيونية التى أُدْعى للمشاركة فيها أن كثيرا من المذيعين والمقدمات يحبون أن ينهوا البرامج بمثل هذا السؤال (السخيف ولا مؤاخذة) الذى دائما ما أستغربه: **"إيه النصيحة اللى تحب تختم بيها البرنامج"؟** (للشباب أو للمرأة أو لأى أحد..!!)، فأنزعج، وأرفض أن نمحو كل ما كنا نتناقش فيه بهذا التسطيح بالنصح والإرشاد.

المهم سوزان هنا حين قالت قولا عاديا معادا، لم يفوّتها لها، د. يحيى، فراح ينبه أن هذه الحكمة نفسها هى نوع من التحكم، وأنه يوجد شىء قبل ذلك وبعد ذلك وهو ما يُبحث فى الحلقة لعبة بعد لعبة لأن **"السيبان سيبان"!!**

أكتفى بالتعقيب على د. هانى ، د.يحيى، ، أ. منى بما ورد فى الملاحظات العامة.

**وإلى اليومية القادمة، لبقية اللعبات**

(مازال هناك سبع لعبات فى نفس الحلقة)

**إنتظرونا بعد التقاط الانفاس!!**

**الخميـــــــس 11-10-2007**

## 41- فـــي شـــرف صحبـــة نجيـــب محفـــــوظ (3)

**.... تحت سفح الهرم**
***ما زلنا قبل اليوميات:***

رجعت الحياة راتبة بنظامها الجديد، وراح الأستاذ يعيد تنظيم أوقاته على مواعيد الممرضة، وأخصائى العلاج الطبيعى، وحين تضطرب مواعيد الأولى أو يتغيب الثانى كان يقلق حتى الضجر، دون احتجاج صريح أو لوم لأحد، لكنه كان كمن ينبه بالتزام هادئ إلى حقه كمريض فى الرعاية فالنقاهة، ولم يكن كل المحيطين يدركون مدى رقته ولا بالغ حرصه على وقت الناس وضبط إيقاع يومه، التقطتُ كل ذلك بسرعة، وحاولت أن أثبِّت كل شىء، وأن أضبط جرعة الانتقال من الاعتماد على الممرضة، وأن أؤجل انقطاعها، وأن أطمئنه على أن أتعاب المستشفى تصلها وستصلها بلا تأخير، وأنْ ..... وأن ..... ولكنه كان يريد أن يستوثق طول الوقت من أمرين: **الأول:** أنه ليس ثقيلا على أحد وأنه لا يأخذ من حق ضباط الشرطة وعائلاتهم ما خصص لعلاجهم، وأن التكاليف تأتى من مصدر آخر بعيد عن أن يعتدى على حق أحد، **والثانى:** أنه يأخذ حقه الطبيعيى البسيط فى التأهيل والمتابعة الطبية والنقاهة.

أخذت أكتشف أوضح وأعمق من هو نجيب محفوظ فى روعته العادية، وصدق الإحساس بالآخرين، حتى وهو أولى الناس بكل رعاية من كل واحد كل الوقت، "إلا أبدا": **شخص عادى، يؤكد واجبه أولا، وينبه إلى حقه بحياء لا مثيل له، لا أكثر ولا أقل !!**

**فى يوم آخر، أيضا: قبل اليوميات**

كان منزعجا هذا الصباح، قال لى: "ماذا فعل يوسف (الصديق محمد يوسف العقيد) مع رجال المستشفى؟"، (انتظرت أن يكمل فأكمل) "أخشى أن يكون قد آذى شعورهم"، لقد أُبْلِغْتُ ما شغلنى" وحين استفسرت عن مزيد من التفاصيل قال:" إنه يبدو أن مشادة قامت بين القعيد وبين إدارة المستشفى حين طلبت الإدارة بعض التفاصيل عن المبلغ التقريبى المقرر للعلاج، فإذا بالقعيد أو رسوله يرفضون الإجابة محتجين على مجرد السؤال أو شئ من هذا القبيل، لم أفهم بوضوح الموقف

حتى بعد أن أضاف الأستاذ!!، "إن هذا الطلب لا ينبغى أن يضايق أحدا، أنا "كموظف" أفهم ذلك تماما، لابد أن يخاطب المدير مديرا مثله، وأن يخاطب وكيل الإدارة من هو فى مستواه من وكلاء الإدارات، وهكذا". وابتسمت وأنا أسمع هذ التعبير الدال الذى سمعته عنه دائما "أنا كموظف!!!" ، والذى أعتقد أنه أسهم فى إبداعاته الرائعة، كما أعتقد أنه له الفضل فى إدامة التصاقه بالناس، عامة الناس، طول الوقت، وربما كان له الفضل أيضا فى إحساسه بإيقاع الفعل اليومى الذى بدا لى أنه يقدسه لذاته, ما زال نجيب محفوظ شخصيا يقول بعد كل هذا: "أنا كموظف"، بعد نوبل، وبعد .. وبعد، وبعد..، يصف نفسه بهذا الوصف البسيط المتواضع "أنا كموظف" .... أعذرهم وأفهم موقفهم .. إلخ."

وعدته أن أذهب لشكرهم وللاعتذار، وإزالة سوء الفهم إن وجدته أصلا، وذكّرته أنهم حين طلبوا منه دعوة طيبة أثناء خروجنا، أجابهم أنه يدعو الله **أن يظلوا كما هم**، (يفضلوا كده) وأنهم وصلتهم هذه الدعوة غير المألوفة ، واعتبروها **شهادة تقدير رائعة** تعنى أنهم وصلوا إلى قمة ما ينتظر منهم ، وما يرجوه لهم، ليكونوا للناس ، سائر المرضى، كما كانوا له !.

فى اليوم التالى سألنى عما فعلت معهم وطمأنته من جديد، وأن ما بلغه لم يصل إلى درجة سوء التفاهم، فعاد يؤكد شرح وجهة نظره قائلا: "هذا هو الفرق بين الموظف والحر"، ثم يبدو أنه أدرك ما فى المقابلة من غموض، أو ربما خشى أن أتصور أن الموظف ليس حرا، فاستدرك: أعنى الفرق بين الموظف وغير الموظف"..، وفرحت بدقة وعيه واستمرار علاقته بانتقاء اللفظ المناسب واحترام المستمع، والحرص على توصيل ما يريد تحديدا.

**وبدأت اليوميات: 1994/12/11 يوم مولده**

كنت قد أخبرته أمس أننى حضّرت له مفاجأة، ودهش وسأل، وأجّلت الإجابة، ولمحت فرحةً مختلطة بدهشة ما تطلّ من بعيد خلف وجهه، مع أننى تخايلت وراء فرحته هذه ما يشبه التوجس الطيب، لكن الفرحة غلبت، وكنت قد اتفقت مع يوسف العقيد وجمال الغيطانى وزكى سالم أن نخرج صباح هذا اليوم "الأحد" إلى الشمس ليكون ذلك أول خروج له بعد الحادث، ليستعيد بالتدريج إيقاع حياته العادية ما أمكن ذلك.

لم يتردد فى الخروج برغم المفاجأة، وكنت أحسب أنه سيقاوم أكثر، لكننى لمحت وراء استجابته للمفاجأة التى ملأت وجهه فعلا بفرحة طفل يوم الإجازة، لمحت ظلا من توجس أمس، لكن ما إن احتوتنا السيارة حتى تنفس بعمق وكأنه لا يصدق أن هذا هو هواء الشارع من جديد.

ذهبنا إلى الهرم، وتذكر أيام رحلات التلمذة فى المدرسة الابتدائية (وربما مع الأسرة) منذ أكثر من ثمانين عاما، ها هى الذكريات تعود به إلى سن السابعة أو التاسعة!!!كما ألمح إلى زيارته المتحف المصرى مع المرحومة والدته، لم

يخطئ ظنى فى تحديد سن فرحته، رائع الاحتفاظ بالطفولة الدائمة هكذا، (تأكدت فيما بعد أن هذا هو من أعظم ما يميزه)، كان يلبس عباءة المرحوم حماى التى أحضرتها له معى ألفّه بها خشية البرد (نحن 11 ديسمبر) ولم يطل مكوثنا فى سفح الهرم، التقطنا صورا قليلة للذكرى، ثم توجهنا إلى ميناهاوس، وهو لا يكاد يصدق.

ما زلت برغم تصاعد دفء العلاقة وإزالة الحواجز، لا أعرف كيف يتحاور معه المريدون، فأنا – كما ذكرت- لم أحضر مجالسه معهم قبل ذلك أبدا، وكل لقاءاتنا منذ شرفنى بمتابعة أيامه كانت بالمنزل، كما كانت معظم أحاديثنا حول مواضيع النقاهة والرعاية مثل التى ذكرتها حالا. كنت أجلس بجواره فى الميناهاوس، أميل على أذنه كما تعودت، وقد سمح لى الأصدقاء أن أتولى ضبط جرعة الجلسة، ربما لظنهم أننى أعرف متى يُنهك، ومتى نتوقف ومتى نعود. إلخ. لم أجد ما أقوله فى هذا الموقف الذى لم أعتدْه، فرحت أحكى له (ولهم) كيف أننى، ذات يوم عُدْتُ مريضا مهما فى هذا الفندق، وأنه كان ينزل فى "جناح مونتجمرى" والذى سمى بهذا الاسم لأن مونتجمرى نزل فيه أثناء الحرب العالمية الثانية، وكيف أننى حين ذهبت للحمام ووجدت أغلب أدواته ومحتوياته وحوائطه من خشب شديد الوقار والجمال، خيل لى أنها حجرة نوم، وأننى دخلت خطأ، فاتجهت للخروج دون أن أقضى حاجتي، لكننى شككت فى نفسى وتراجعت إلى ما يشبه (ولا مؤاخذة) المرحاض، وشددت "السيفون" فانْشَدّ!، فتأكدت أنه الحمام، ومع ذلك فقد أبت أجهزتى الفسيولوجية أن تصدق، وخرجت كما دخلت وأنا لم أخدش حياء كل هذا الخشب الأنيق، وضحك الأستاذ عاليا وجميلا، ولم أكن قد تعودت ضحكته الجلجلة هذه بهذا القرب بعد.

نظر إلى الأستاذ وهو يأخذ شهيقا عميقا كأنه يتأكد أنه ما زال هو هو هواء الخارج (خارج البيت) مع أننا كنا داخل الفندق، نظر مترددا فعرفت أنه يريد أن ينتهزها فرصة ويتخطى الحواجز، وفعلا: سألنى مترددا، بمناسبة هواء الحرية، (هكذا قال) هل تضر سيجارة واحدة لا أكثر؟ وحين وافقت لمحت وجهه يشرق وكأنى أمام تلميذ يطلب إذنا من المشرف لم يتوقع الاستجابة له، أسرع – ربما خوفا من أن أرجع فى كلامى- وأخرج سيجارة من علبة سجائر كان يحتفظ بها فى جيبه فى سرية تامة طول هذا الوقت، وفوجئنا وتساءلنا فضحك وهو يخبرنا أنه لم يجد داع للإعلان عنها خشية ألا يؤذن له، أشعل له السيجارة أحد الأصدقاء (أعتقد أنه الابن زكى سالم)، وهو لا يكاد يصدق، وراح يأخذ منها نفسا عميقا بطيئا، ثم يديرها بهدوء بين أصابعه، وكأنه التقى بحبيبة بعد طول غياب فمضى يتأمل وجهها، ويلمس على شعرها ليتأكد أنها هى، وأنها عادت، أحسست ساعتها أنه – بهذه السيجارة التى لم يدخنها منذ الحادث- قد تأكد من عودته للحياة الطبيعية.

فوجئت فى اليوم التالى بذكر اسمى فى الصحف مقرونا بوصف "طبيبه الخاص" وتتالى ذلك بوصف آخر هو "الطبيب المرافق" وغير ذلك من صفات طبية، كما ذكروا على لسانى أننى صرحت

بـأنـه يستطيع كـذا، ولا يستطيع كيت **وكل ذلك لا أساس لـه من الصحة**، ليس هذا فقط، بل إننى شعرت أن به جَرْحُ ما لأستاذى وشيخى هذا، وأيضا حرج لى بشكل آخر، من حيث أنه يعطينى دورا أقل مما أتمناه فى صحبته، وأكبر مما أستطيع بخبرتى المحدودة، صحيح أن المرض النفسى ليس عيبا، وأننى خفت مرات متفرقة على أستاذى أن يكون قد تَقَمَّصَ شخوصه حتى عانى – مثلا – ما أتاح له وصف حالة "عمر الحمزاوى" فى الشحاذ بكل تلك الروعة والتفاصيل، **وقد ذكرت مخاوفى هذه فى نقدى الأول (1970) لروايته "الشحاذ حيث قلت " ما يلى:**

*وإنما اخترت "الشحاذ" لأنها من الناحية النفسية تمثل وضوحا وصراحة فى الأعراض لا مثيل لهما.. فهى تصف نوعا من المرض النفسى وصفا لا أكاد أصدق أن إنسانا يستطيع وصفه إلا إن مر به وعاناه.*

*ولابد أن أعترف أننى أشفقت على كاتبنا الكبير أن يكون قد عاش بعض هذه الآلام، وجزعت حين خطر ببالى هذا الخاطر برغم ما داخلنى من راحة حقيقية، إذ أن هذا الاحتمال نفحنا نحن قراءه هذا الوصف الذى لايقدر عليه إلا هو . . إلا أنى – حبا فيه ثانية- استبعدت ذلك جدا، وراجعت نفسى وقلت لعله صديق صادق، اندمج معه كاتبنا العظيم، حتى قاسمه مشاعره، ثم استطاع ببصيرته أن يترجم خلجاته إلى ما أقرأنا من فن صادق .*

*ولكن الذى استبعدته تماما هو أن تكون هذه القصة برمتها محض خيال*

فعلا رفضت وصفى بأنى طبيبه الخاص خشية تصور أننى أقوم بدور التطبيب النفسى، ولعل هذا النفى، بل وتبادل الأدوار، هو الذى حضرنى فى شعرى لاحقا فى أحد أعياد ميلاده حين أثبت فيه **أن شيخى هذا هو الذى كان يعالجنى- نفسيا – طول الوقت. "صالحتنى شيخى على نفسى" الأهرام 15-12-2003**

**قلت فى عيد ميلاده الـ "92"**

**... زعموا بأنَىَ قادرُ أشفى النفوسَ بما تيسَّرَ من**
**علوم أو كلام أو صناعةْ**
**عفوا، ومن ذا يُشفى نَفْسِى حين تختلطُ الرؤَى،**
**أو يحتوينى ذلك الحزنُ الصديقُ فلا أطيقْ؟**
**حتى لقيتـــكَ سيِّدى،**
**فوضعتُ طفلى فى رحابكْ.**
**طفلُ عنيدْ.**
**مازالَ يدُهَشُ كلَّ يوم من جديدْ.**
**.....**
**صالحتَنِى شيخى على نَفْسِىَ حتى صرتُ أقربِ ما أكونُ إليه فينَا،**
**صالحْتَنِى شيخى على ناسِىَ، وكنْت أشكُ فى بـــلَهِ الجماعة**
**يُخْدعُونَ لغير ما هُم.**
**صالحتنى شيخى على زخم الجموع فَخِفْتُ أكثر أن أضيع بظلِّ غيرى.**
**صالحتنى شيخى على أيامنا المَرةِ مهما كان مِنْها.**

علَّمَتِنى شيخى بأنا قد خُلقنا للحلاوةِ والمرارة نحملُ
الوْعَى الثقيلَ نكونُه كَدْحاً إليه.
. . . . . .
. . . . . .
من وحى أحلام النقاهة- سيدى- نشطت خلايا داخلى:
" فحلمت أنّىَ حاملُ،
وسمعتُ دقّا حانيا وكأنه وعد الجنين.
جاء المخاض ولم يكن أبدا عسيرا،
وفرحت أنى صرت أمًّا طيبة،
لكننى قد كنتُ أيضا ذلك الطفل الوليد،
فلقفتُ ثَدْىَ أمومتى،
وسمعت ضحكا خافتا.
لا،.. ليس سخريةً ولكنْ.
.... وسمعت صوتا واثقا فى عمق أعماقى يقول:
"المستحيل هو النبيل الممكن "الآن" بنا".
لَمَستْ عباءتكِ الرقيقةُ جانبا من بعض وعْيي،
فعلمت أنكَ كُنْتَهُ".
وصحوتُ أندم أننى قد كنت أحلمْ.

حين قرأت له هذا الحلم شعرا لاحقا، وقال فيه كلاما طيبا، عرجت إلى رفضى لتفسير الأحلام الفرويدى، وتكرر فى لقاءاتنا اللاحقة لأكثر من عشر سنوات عرض نظريتى عن الأحلام حتى شعرت أنى أضجرته، لكن أبداً، كان دائما يستزيد بما يشجعنى حتى بدأت فى قراءة أحلام نقاهته نقداً ....، ولنا فى ذلك عودة فعودة.

* * *

على ذكر عيد الميلاد، سألته عن كيف اعتاد أن يحتفل بهذا اليوم؟ فقال لى إنه لا يحتفل عادة بعيد ميلاده، وإنه لا يعرف معنى لهذا الاحتفال، حتى مع الحرافيش، اللهم إذا تصادف أن جاء هذا اليوم يوم خميس بالصدفة، وهو يوم لقائهم، ثم لا شيء بعد ذلك، قلت له: حتى ولا "تورته"، قال: حسب التساهيل، زمان لم يكن هناك طقوس كهذه، وذكرت له وجهة نظرى فى فكرة الاحتفال بعيد الميلاد: ذلك أننى لا أرى لى فضلا فى أننى ولدت فى يوم كذا فيحتفلون بى ، وقلت له أننى سجلت رأيي هذا لعميد كلية طب قصر العينى (المرحوم) أ. د. هاشم فؤاد، حين آصر أن يرسل لى حتى عيادتى باقة ورد بمناسبة عيد ميلادى، وكان يعدّ بذلك لانتخابات دورة ثانية للعمادة، ويرسل لكل الزميلات والزملاء مثل ذلك، ولكن سيادة العميدة لم يهنئنى بحصولى على جائزة الدولة التشجيعية فى الأدب قبل عام أو أثنين (على ما أذكر)، فكتبت إليه، وعاتبته أنه اطّلع على تاريخ ميلادى من أرشيف الكلية دون إذنى، فى حين أننى ليس لى الحق فى الاطلاع على ملفه لأ ردّ له التحية فى عيد ميلاده، وأنه حين فعل ذلك مع زميلات لى قد تخطى كل الحدود، فلا أظن أن أيا مِنهُنّ تريده أن يعرف سنها، ثم إنه لم يهنئنى بإنجازى أنا فى نفس العام، وهنأنى بفضل والدىّ فى ليلة شتاء ينايرية من عام ما (ولدت فى نوفمبر)، وهو أمر ليس لى فضل فيه، بل ربما لم يكن ينويه والدىّ أصلا لأنى رابع أخ إذْ سبقنى

ثلاثة إخوة ذكور، قلت ذلك للأستاذ وكان يستمع باسما، لكنى لمحت فى وجهه قرب نهاية حديثى ما يشبه الاحتجاج المهذب، بل الرفض، وفعلا، أحسست أنه يريد أن يقرص أذنى لأننى ذكرت والدىّ بهذه الاستهانة حتى ولو كان على سبيل الفكاهة، وخجلت، وحين تراجعت بعد ذلك عن رفضى لفكرة أعياد الميلاد خاصة للصغار، وذكرت ذلك للأستاذ لاحقا، سألنى كيف عدّلت رأيك، وكان يفرح بمثل ذلك كأنه يطمئن لمرونتنا حوله، فقلت له إنه بدا لى أن هذا الاحتفال يؤدى رسالةً ما للأولاد والبنات أساساً، فهو يبلغهم أن والديهم غير نادمين على قدومهم ، برغم ما يفعله الصغار بهم، فضحك واسعاً، فعرفت أنه عفى عن خطئى الأول وتجاوزى حدودى تجاه والدىّ، فأضفْت أنه حضرنى الآن – أيضا – وأنا أشرح له رأيى الجديد، أن هذا الاحتفال ربما كان – **أيضا- اعتذارا لهم عن أننا أنجبناهم قسرا فى هذا العالم دون استئذان،**

**وترحمنا – الأستاذ وأنا – على عمر الخيام وأبى العلاء المعرى معا.**

– تصحيح وتوضيح: سبق أن حددت فترة هذه اليوميات من [11-12-1994 حتى 17-8-1995] وهذا صحيح، لكننى وجدت أننى قد كتبت حوالى خمس عشرة صفحة بعنوان "قبل اليوميات"، ويبدو أن التاريخ الذى أثبته لليوميات، هو تاريخ بدء الكتابة، بمعنى أن الفترة السابقة لذلك لم أكن أكتب فيها شيئا، وحين بدأت الكتابة يوم 11 ديسمبر (يوم عيد ميلاده – كدت أضيف الآن "أطال الله عمره" أى والله !!!) الذى سوف يأتى ذكره حالا، قررت أن أكتب ما فاتنى من الذاكرة، وقد حدث خطأ فى الحلقة الأولى حين سجلت أن مكالمة أ.د. سامح همام كانت 11 ديسمبر، إذ يبدو أنها كانت 11 نوفمبر، لكل هذا لزم التنويه.

– نشرت القراءة الأولى فى مجلة الصحة النفسية (1970) ثم فى كتاب حياتنا والطب النفسى – القاهرة دار الغد (1972) ثم فى كتاب قراءات فى نجيب محفوظ. د. يحيى الرخاوى، الهيئة العامة للكتاب، 1992، ص 170 .

– نشرت فى الاهرام: 2003/12/15 [فى عيد ميلاده الـ "92" صالحتنى شيخى على نفسى ..]

**الجمعـــــــة 12-10-2007**

**42- حـــــــــوار/ بريـــــــــد الجمعـــــــــــــة**

## عن التواصل والطفولة والبراءة

**مقدمة**

مازال الحوار يجرى بين نفس الأصدقاء تقريبا، وهو شئ طيب لأنه يجعل الحوار حواراً، لكنه يقلقنى فى نفس الوقت لأنه لا يساعدنى على التعرف على بقية الذين أكتب لهم، سواء بصفة عامة أم فى هذا الحوار الأسبوعى.

**يكتب لى الابن كريم شوقى**

- أنا بقيت استنى بريد الجمعة من الجمعة للجمعة، لأنه جميل إن حد كبير يسمع ويرد، يبقى فيه "خد وهات".

**د. يحيى**

شكرا كريم، ولو أنى آمل بعد قليل (أو كثير) أن المسألة تصبح "خد وهات" أكثر فأكثر، لأن حكاية "حد كبير يسمع ويرد" لا تطمئننى كثيرا، مع أننا نحتاج الاثنين معاً طبعا.

**وبعـــد**

**أولاً: الخوف من الحب (عن التواصل: بين البشر)**

حين كتبت هنا عن صعوبة "التواصل البشرى" بعنوان **("تعرية زيف واغتراب التواصل البشرى" بتاريخ 26-9-2007)** كنت فعلا مترددا وخائفا من أن أفتح ملفا لا أستطيع أن أغلقه، وأن أطرح أسئلة ليس عندى لها إجابة، وألوَح بعلاقة أرقى وأبقى تكاد تكون مستحيلة الآن، وقد حاولت أن أهرب فعلاً بعد هذا المقال الأول، لكننى فوجئت أن كل عملى فى مهنتى، ولا أقول أغلب عملى، هو يدور فى هذه المنطقة، وأن معظم كتاباتى شعرا وقصًا وعلما هى فى هذه المنطقة أيضا، فأى مبرر أخلاقى أو موضوعى يبرر لى الهرب؟ هل لأنى عجزت عن أن أحقق ما أراه، أفْضَلَ وأبْقَى يحق لى أن أعزف عن قول ما أتصور أنه يوماً ما سيكون؟ ومع ذلك فقد كان الميل الأرجح هو أن أقفل هذا الملف حتى لا تنقلب المسألة كلاما على الورق! ومع ذلك عدلت عن تراجعى كما تشهدون.

حين نشرت مقَالتَىْ **الخوف من الحب (7-10 ـ 8-10)** تعَرت المسألة أكثر وأصعب، ولقد كنت صريحا منذ البداية حين أنهيت

المقال الأول 26-9 بالرد على سؤال وجهته إلى نفسى على لسان القراء:

**هل حللت أنت شخصيا هذا الإشكال:**

ورددت: "طبعا لا"
ثم أردفت على لسانهم:
- إذاً ماذا
ورددت:
- إذن هذا !

وفى المقال التالى عن "الخوف من الحب" 7-10 أنهيته بإعلان مخاوفى ومحاذيرى بشكل واضح، ويبدو أنها وصلت إلى كثير من الأصدقاء وخاصة د. أسامة عرفة والصديق محمد كامل. أما المقال الثالث 10/8 فقد انهيته أيضا بسؤال يقول:

تُرى هل أصبحت المسألة أسهل أم أصعب؟
ويبدو من تعقيباتك يا د. أسامة أنها أصبحت أصعب.

**د. أسامة عرفة**

. . . . صعّبتها علينا يا مولانا، ربنا أمر بالستر

**د. يحيى:**

بصراحة، نعم، ولا أعتذر، ولا اريد أن أتمادى أيضا، ألا تذكر يا أسامة أننى قلت فى المقال الأول فى سلسلة الخوف من الحب بتاريخ 10/7، أنه: " قد يترتب على فهم طيب أمين، تقليب غير طيب لعلاقة سلسلة متواضعة، كان يتمنى صاحبها أن تستمر مستورة والسلام. كنت، ومازلت أخشى يا أسامة ألا يصل كلامى إلا إلى عدد قليل على المستوى العقلى، أما على المستوى الواقعى فها أنت تحدد الندرة بوضوح شجاع.

**د. أسامة**

... (فعلا) مين ولآ كام واحد حايقدر على ده، أعضاء المجلس الموقر؟ ولا الراجل ولا الست الغلبانة بياعة الفجل على رأس شارعنا ..... وبعدين الطرفين راضيين

**د. يحيى**

يا سيدى ربنا يملأها لهم بركة، وهل نحن قلنا حاجة! لكن ماذا أفعل فى حتم الرؤية وضغط الرسالة، ماذا أعمل؟

**د. أسامة**

**. . . . شويّة غمَى، على شوية عِشرة، على شويّة مودّة، على شويّة مناكفة**، مش هوه ده الإيقاع إللى ممشى الدنيا لحد دلوقتى؟

**د. يحيى**

بصراحة مرة أخرى، **نعم ونصف**، ربنا يستر، لكن الحكاية يا

أسامة، وأنه مع مرور الزمن، وإذا لم تكن هذه الشويَّات متجددة "وصابحة" أولا بأول، تنقلب المسألة إلى: **شوية تفويت، على شوية تطنيش على شوية برود، على شوية انطفاء، على شوية انسحاب، والذى نبات فيه نصبح فيه وسلامتك وتعيش**، لا تضطرنى أن أقول إن هذه هى "دورة حياة الدودة **التواصلية**"، (مثل دورة حياة دودة البلهارسيا) ثم نحمد الله على الستر. ونتمنى للجيل القادم ما هو أفضل، طيب، ما المانع أن نقدم للجيل القادم بعض معالم بعض محاولاتنا الفاشلة، ليبدأ من حيث انتهينا، نلقى الكرة ملتهبة ناراً، وهم يحولونها إلى طاقة. ألا يجوز؟

**د. أسامة**

اقترح عقد ميثاق شرف ابتدائى للحب: مانستأذنشى بعض .. نحترم بعض شوية، التزام شوية مسئولية، .. وبعدين الحب بقى حسب التساهيل

**د. يحيى**

أيضا موافق خصوصا حكاية "نحترم بعض"، وأيضا حكاية المسئولية"، أنت تعرف طبعا يا أسامة أن تعريف الحب العلمى هو "رعاية ومسئولية"، وقد أضفت أنا توضيحاً له أنه رعاية **"متبادلة"** و**"تحمل الاختلاف"** و**"القدرة على الاستمرار"، ولم أضف على أن يشمل: "تجديد العلاقة وإعادة التعاقد"**، فزاد الأمر صعوبة، وكان علىّ أن أتراجع، لكن برغم كل ذلك لم أستطع أن أهرب من أن أقدم ما أعرف، حتى لو لم أكن قد نجحت أنا شخصيا فى تحقيقه.

**د. أسامة**

**(أنا أيضا)** .. لا أدرى يقينا لماذا لجأتُ **(أنا)** إلى كل هذه المراوغة، أو محاولة التملص مما ألقيتُه فى وعيى، عذرا سيدى على مشاكستك فى محرابك

**د. يحيى:**

ياعم محراب من؟ ومشاكسة من؟ الحب لا يعرف المحراب، الحب أو محاولة السير فى طريقه يحتاج إلى كل ما نحاوله، وهو يلقى فى وعينا ما يقلِّبنا، وقد يلهمنا إلى حلٍّ ما، يوما ما، خاصة لو بدأنا بحكاية احترام حقيقة تعدد مستويات الوعى، وبالتالى "الاتفاق المتعدد المستويات". مما يحتاج لإفاضة لاحقة.

**د. أسامة:**

... أتفق تماما مع رؤية مستويات الوعى، وهيراركيتها (التى جاءت فى المقال "2" عن الخوف من الحب) وسؤالى هو: أليست مستويات الوعى المختلفة فاعلة نشطة بتلقائيتها حتى بدون وعى مستوى الشعور الظاهر.

**د. يحيى:**

طبعا، وهل يقدر أحد أن يمنع تلقائيتها، سواء وصلت إلى الشعور أم لا، عليك نور يا شيخ

**د. أسامة:**

.... وأن ما يصل لشعورنا الظاهر أو ما يظهر على شاشة

الـوعى هذا ليس مجرد تسطيح، وبقية المستويات خارج الحسبة، وإنما فقط **هو المحصلة النهائية** لتفاعل مستويات الوعى المختلفة فيما بيننا ومع مستويات وعى الآخر سواء وعينا بذلك أم لا.

**د. يحيى**
الله يفتح عليك، بالضبط! ولكننى أضيف: "ياليت"!! (يا ريت: من بقك لباب السما)

**د. أسامة**
.. هل نحن نعى بكل العمليات التحتية لمستويات التراكيب المخية فى بقية الوظائف الحيوية حتى يكون من الضرورى الوعى بها أثناء التواصل مع الآخر؟

**د. يحيى**
طبعا لا، كلامك كله صحيح، حتى العمليات الحركية الظاهرة، تجرى متناسقة دون تدخل شعورى، بل إن التدخل الشعورى يفسدها. يا أخى، ألا تذكر صلاح جاهين **"..بس انت لو بصيت لرجليك تقع".**

**د. أسامة**
.. علينا (إذن) فى عملية النمو والتربية تغذية هذه المستويات المختلفة، وفتح المسام لها بطريقة غير مباشرة وغير معقلنة، وبلغة أقرب للعادية

**د. يحيى**
... أوافقك مائة فى المائة، بل إنك حين قلت "بائعة الفجل على ناصية شارعنا" تصورت أنها أقدر على تحقيق ذلك التواصل المتعدد المستويات. من أى واحد متفذلك منظّر. فى روايتى الجديدة **"ملحمة الرحيل والعود" (الجزء الثالث: من ثلاثية المشى على الصراط)** توجد شخصية أمية اسمها "وردة" تعد شايا وقهوة ومشاريب فى ركن بجوار مزلقان أبو النمرس، وأظن أننى تعمدت برسم هذه الشخصية أن أقدم نموذجا لتواصل متعدد المستويات، يفوق كل شخصيات الرواية بما فى ذلك المثقفة، والأجنبية، والبرجوازية ....الخ، وربما أضطر يا أسامة – وكلى أسف – أن أعود لنقد هذه الثلاثية مجتمعة بعد اكتمالها لأنها تدور حول إشكالة التواصل البشرى من ناحية، ثم أظن أنها ترسم سهماً ما لما أود توصيله وأؤجل الحديث عنه من ناحية أخرى.

من أصعب ما يؤلمنى أحيانا يا أسامة أن أضطر لنقد أعمالى الإبداعية بما أسميه "شرح على المتن"، لكن ماذا أفعل بالله عليك والنقد الحقيقى بالنسبة لإبداعى هُسْ هُسْ، دعنا نستمع لصديقنا الطيب "محمد كامل"، وقد بلغه ما نتحدث عنه بطريقته الطيبة الهادئة الأمينة، وهو لم ينف دهشته، التى والحمد لله، لم تصل إلى حد الانزعاج.

**محمد كامل:**
ياه !! .... يا خبر ابيض، ده الواحد مِنْ جوّه مكشوف

قوى، أنا كنت حاسس بغير كده، حسيت بكل ده وأنا بقرأ اليوم **(الخوف من الحب 1)**

**د. يحيى**
والله أنا آسف يا محمد...، يعنى.. ...، ليس تماما، طيب ... خلّها: "أنا شاكر يا محمد"

**محمد كامل**
.. ومع ذلك يبدو أنها ليست هى ما تميز الفطرة البشرية السليمة، غاية تواصل الإنسان كما أكرمه الله

**د. يحيى**
لم أفهم ماذا تعنى بـ "ليست" هى.. "تقصد ماذا"؟ لا القصيدة ولا المقال قدمتا نموذجا لما هى الفطرة البشرية السليمة على ما أذكر، وإنما اليومية كلها كانت تريد أن تعّرى الموجود، أما الفطرة السليمة، التى جاءت الأديان لتنميتها، فقد انقضّت عليها السلطات الدينية وغير الدينية تفسدها مع سبق الإصرار.

**محمد كامل**
... نواميس الدين تنسق صراعاتنا الداخلية، وصراعاتنا الداخلية الأخرى هى ما تساعد على تنفيذ نواميس الدين

**د. يحيى**
...اسمح لى أن نؤجل الحوار فى هذه المسألة حتى تظهر جوانب أخرى لها، خصوصا فى هذه المنطقة الصعبة، لكن دعنى أعترف لك أننى فرحت بتعبيرك "أن نواميس الدين تنسق صراعاتنا"، تصور أن النظريات الأحدث للتركيب البشرى تقبل وتعمق صراعاتنا هذه، **حتى أصبحت فكرة أن تتجنب الصراع وأن يكون كل همنا هو "حل الصراع" أصبح هذا وذاك تسطيحا خائبا**، إن المطلوب هو إعادة فهم طبيعة الصراع وضرورته من منطلق النمو، وأنه ضرورى للحفاظ على الحركة والدفع إلى جدل خلاّق، وكل هذا هو ألف باء قوانين الفطرة التى خلقها الله ليكرمنا بها إذا نحن استوعبناها وكرمناها بما **"نُحاوله إليه"**، يارب يا محمد تنتظر معنا، وتحاول معنا، ونحن نكمل، من يدرى لعلنا نحصل على شعاع يهدينا للوجهة الصحيحة؟

**محمد كامل**
... (أنا) فى انتظار التكملة حتى تتشكل صورة تعليقى جيدا

**د. يحيى**
والنبى يا محمد دعك من "تتشكل جيدا"، إن أمانتك وتلقائيتك تكفيان، ألم تلاحظ أنى أحاول من كل جانب، ومع ذلك لم تتشكل الصورة عندى بعد بما يكفى أن أقول إنها جيّدة أو غير ذلك؟

المحاولة والجدية والاستمرار هى زادنا "إليه" يا أخى، تعالى يا محمد نخفف الجرعة قليلا باستدعاء الابن كريم شوقى

ليرد على السؤال الذى أنهيتُ به مقالى **(الخوف من الحب 1)**، حين **سألت القراء الزوّار مارأيكم دام فضلكم**، وكنت أطلب الرأى فيما إذا كنت أكمل التعرية، أم أخاف على الناس وأتراجع، نسمع كريم.

**د. كريم**

حضرتك طلبت رأينا فى أخر المقال.. أنا مش عارف رأينا فى إيه بالظبط: أنا عن نفسى باحب ألعب حب(بس من غير قلة أدب) عشان باخاف من المجتمع وعندى حبة ضمير .. أحسن حاجة فى لعبة الحب إنك وقت ماتعوز تخلع حتخلع ومش حتتعب كتير أو خلينى أقول مش حتتعب خالص .. مرة كنت بالعب حب ولقيتها قلبت جد وتعرضت لتجربة الترك وبادفع الثمن حتى هذه اللحظة .. عشان كده باخاف من الحب الحقيقى طبعا .. إمال حخاف من إيه يعنى !!!

**د. يحيى**

بصراحة الله نّور، ثم "برافو" عليها تلك التى قلبتها جد، ثم دفّعتك ثمن لعبة يظن الرجال أنهم هم الذين يتقنونها وحدهم .. إدفع يا بوكرم، ولو إنه يظهر عليك مازلت آخذا المسألة بروح رياضية، لكن ألمك ظاهر، يمكن تكبر.

**كريم**

أنا مصدقك تماما وباحترم اجتهادك أن الحب الذى خلقه الله و الحب المتعدد المستويات بس أنا أخاطر ليه ومين يستاهل أساسا ... إللى يحضر العفريت لازم يكون أده .. مش كدا ولا إيه عاوز رأيي؟: **"مافيش احسن مالضَحْكِة العيرَة، والحب اللى مالوش تسعيرة".**

**د. يحيى**

هذا هو الكلام، "واللى عايز الجميلة يدفع مهرها" لكن حكاية "اللى يحضّر العفريت لازم يكون قده" أظرف.

أمّا أن ينتهى رأيك كما انتهت الأغنية، فربما يكون عندك حق الآن، طالما أن هذه هى "البضاعة الحاضرة"، لكن: إبق معنا نحاول،.. من يدرى؟

**ثانياً: عن الأطفال والبراءة والفطرة**

بعد أن كتبت أسماء شُرَطًا تحت بعضها على عدة أسطر سجلتْ نهاية قصيدة فى "هجاء البراءة" قائلة:

**أسماء**

تغوص فى اشتياق
فى الطين والعفن

**د. يحيى**

يا أسماء لماذا لم تذكرى النهاية على بعضها **"جحافل البشر"، كالدود الجذور، تغوص فى اشتياق، فى الطين والعفن؟** "ياشيخه لقد أزعجتنى هذه النهاية أكثر من كل صدمة القصيدة، ولكننى مازلت متمسكا بها،

صغيراً، كنت اصطاد السمك فى مصرف بلدنا، وكنا نفحت فى الطين (النتن) لنخرج دودة الأرض نجعلها طعما للسنارة، ومازالت الرائحة تزكم أنفى ، وحين كنا نفعل كانت جذور الشجر والأعشاب تقابلنا ، ومن يومها وأنا أصاحب هذه الرائحة وأحترم الجذور ، وأرى جمال ما هو فوق الأرض من زهور وأوراق وشموخ أشجار .. الخ نابعا من هذه الرائحة وتلك الجذور، وألهمنى ذلك أصل الإنسان الرائع وكيف يغوص فى اشتياق هكذا، إن الإنسان حين ينفصل عن هذا الأصل يصبح ماسخا بلا طعم يا شيخه .

**أسماء**

لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .
لعلى أجد أحلى ما فى الكون براءة الأطفال، ولكن هذه ليست براءة، هذه جريمة .. كلمة براءة فى حد ذاتها تخبرنا أن الدنيا لسه بخير، البراءة للكبير قبل الصغير.

**د. يحيى**

بصراحة يا أسماء عندك حق، وكل الذين اعترضوا على قصيدتى هذه **"فى هجاء البراءة"** عندهم حق. لكن الشعر شعر، ربما قصدتُ أن أمسك بكلمة "البراءة" وأعرّيها (وليس أن أهاجم البراءة نفسها)، لأن هذه الكلمة قد أسئ استعمالها مثل كلمة الحب، وكلمة البراءة حين تفرغ من الفطرة التى تحتويها، تصبح شظية شائكة خبيثه ذات بعد واحد، وتصبح ماسخة، وسلبية، وربما (قاتلة سلبا أيضاً)، واستعمال "كلمة البراءة" على "العمّال على البطّال" يَكْثُر عند الضعفاء والمدّعين الذين بهذا الاستعمال الملتبس يقتلون البراءة الفطرية التى خلقها الله، ويشوهونها،

**الفطرة شئ آخر**، نحن لابد أن نقبلها كلها بزخمها، ووعودها، وفجورها، وتقواها، وهنا تتاح الفرصة للصراعات التى لا تُحَل بإلغاء أحد شقيها - كما ذكرتُ حالا للصديق محمد كامل- وإنما بدفع بعضها ببعض إلى ما بعدها، وكل ذلك يا أسماء أفتقده ونحن نتحدث عن البراءة الساذجة، فينتهى بنا الحال إلى ذلك الاستعمال السلبى للبراءة ، وهو ما هجوته فى القصيدة، إننا نخنق البراءة الحقيقية (الفطرة)، ببراءة الابتسام المجاملاتى، أو حين نفرض على الأطفال السجن فى منظومات جاهزة وصلبة وجامدة، بقصد حمايتهم أو تقويمهم.

**أسماء:** (إشارة إلى صداقتى لطفلَىْ **قصيدة "العقلة والإصبع"**

... هو حضرتك عاوزنا نفهم إيه من كلمة أحدهما الآن مهندس وزوجته منقبة..

**د. يحيى**

يا أسماء ، لماذا لم تكملى "والآخر استشارى جراحة عظام فى انجلترا؟" أنا لا أقصد إلا ما وصلك، أو ربما لا أقصد شيئا، هذين الطفلين (أحمد وعلى) كانا أصدقائى، مثل أحفادى الآن، وكنت قد اعتدت منذ حوالى ثلاثين عاما أن نذهب

"نـتـفسح معـاً" (لا أفسّحهم) وقـد اصطحبتهما فى جولتى بيكروباس مع بقية أسرتى الصغيرة سنة 1980، فى تلك الرحلة التى سجلتها مع سيرتى الذاتية فى ترحالاتى الثلاثة **(الترحال الأول "الناس والطريق") – (الترحال الثانى "الموت والحنين") – (الترحال الثالث "ذكر ما لا ينقال")**، وكان آخر لقاءلنا نحن الثلاثة منذ حوالى خمس عشرة عاما فى قهوة (الأمفتريون) فى مصر الجديدة، حين وعدانى "بعزومة" على حسابهما حين يتخرجان، ثم تفرقت السبل، واحد إلى الخليج فإنجلترا فأكبر الشهادات فاستشارى هناك، والآخر فى مصر إلى عمرو خالد، إلى إطلاق اللحية وتنقيب زوجته، وانقطعت صلتى الظاهرة بين هذا وذاك، وإن ظلت المودة باقية، وهما لم يوفيا بوعدهما أبداً حتى الآن. ترى هل هذا يردّ على تساؤلك ؟

لا أظن، أنا أغيظك كما أغظتنى

أنا يا أسماء – غصباً عنك- مازلت طفلا أبحث عن أطفال أصاحبهم وأتعلم منهم ومعهم، أطفال يكبرون دون أن يتنازلوا عن طفولتهم، إنّ كل (أو معظم) أصدقائى الأطفال يتجاوزونى ويتجاوزون طفولتهم ويشيخون، فأنتقل للجيل التالى، وهكذا.

أصدقائى الأطفال جدا، لم يعودوا أطفالا أصلاً، تركونى طفلا غريبا معك، هل هذا يرضيك؟

**أسماء**

آلمتنى جدا هذه الكلمات: "هل رأيتم طفلا يقضم رقبة عصفور وهو يضحك؟"

**د. يحيى**

هل آلمتك لأنها حقيقة تريدين إنكارها؟ أم لأنك تألمت للعصفور البرئ براءة الطفل، ولا ذنب له إلا أن هذا الطفل ليس بريئاً تماما كما نحب أن نتصوره أو نصوّره؟ لا نريد أن نخلط بين البراءة، والفطرة، والبدائية، تعالىْ نسمع الإبن أسامة وهو يتساءل..

**د. أسامة عرفة**

هل هو الطفل؟ أهى الفطرة؟ فطرة الميلاد قبل أن نطمسها ...؟ كل مولود يولد على الفطرة ثم يأتى أبواه فـ ....؟

**د. يحيى**

... لماذا لم تُكْمِل يا أسامة؟ هل خشيت على إخواننا أهل الكتاب؟ ماذا لو أكملت..، فأهله يهوّدانه أو ينصرّانه أو يمجسناه (من المجوس) ألم يكن هذا أشجع؟ ثم إنى أعتقد أن الحديث الشريف لايقصد – دينا بذاته – وإنما المقصود هو "يمؤسسَانهُ" (من المؤسسة) أى يجعلونه تابعا لمؤسسة دينية وليس ساعيا إلى الله، وحين انقلب الإسلام أيضا إلى مؤسسة، فيمكن أن نضيف دون أن نحشر ما نضيفه فى الحديث الشريف: أو "يُمَسْلِمَانِه"، هذا يتفق أكثر مع قراءة أمينة للآية الكريمة التى تخاطب الأعراب ...قل لم تؤمنوا ولكن قولوا

أسلمنا ".. المفروض – يا أسامة- أن الأديان جاءت ترعى الفطرة لتنطلق إلى غايتها – وجه الله – إبداعا لذاتها وتعميراً للأرض وتراحما بين خلقه، إن من يحمل مسئولية الفطرة، هو القادر على تنميتها...

**د. أسامة**
... هل ما نحتاجه فعلا هو تنميتها أم فقط عدم تلويثها وهى قادرة على إدارة صاحبها

**د. يحيى**
بصراحة سؤالك صعب وجيّد يا أسامة، ولكن دعنى أعلن لك مخاوفى من حكاية "الإدارة الذاتية"، لابد لأى كيان مهما بلغ نقاؤه وسلامة أصوله لا بد له: **من مساحةٍ، وسماح، ومعالِم، وحدودٍ، وقوانينَ** حتى يمكن أن يدير أمره بنفسه، ناهيك عن إدارة صاحبه. علينا أن نبحث عن ما يسمح بكل هذه الظروف استلهاما من الأصول فى ظروف الواقع الجارى، وليس تطبيقا للحروف المعجمية الجامدة، وعلينا أن يكون المقياس هو ما ينفع الناس ويمكث فى الأرض لا ما يُرْضِى المعاجم ويكبّل الفكر.

حين نأخذ كلمة **"طفل"** نبحث عن معناها فى القاموس، حتى فى قاموس العلوم النفسية، نجد أن لها معنى محددا فى سن محددة، أما حين نقرأها فى سياق تنزيل متكامل واضح الأهداف، جلى التوجه، فقد تلهمنا معان ومعان، سواء ما ذهبتُ إليه فى قراءتى للطفل الذى قتله مولانا الخضر، واختلافه عن الصغار الذى بنى لهم الجدار، أو ما جاء عن أى طفل فى التنزيل أو غيره، إن إشكالة قتل هذا الطفل ظلت تؤرقنى كما قلت فى المقال، حتى اهتديت إلى ما ذكرتُ هناك، لكن تعالى نسمع أولا رأى محمد ابن أخى فى هذه المسألة.

**محمد**
لم أقبل تأويلك (لقتل الخضر الطفل أنه قَتْلٌ للطفل الناشز داخلنا)

**د. يحيى**
عندك حق

**محمد**
لكنى أقبل طلاقة العلم اللَّدُنّى الذى أباح للخضر قتل الطفل الذى سيرهق أهله طغيانا وكفرا

**د. يحيى**
لعلك لاحظت يا محمد دفاعى عن كل مناهج العلوم والمعرفة دون استثناء، بما فى ذلك العلم اللدنى، وهو مفهوم يحتاج التأنى فى الأخذ به كما يحتاج إلى محكات – ليست تقليدية بالضرورة – يقاس بها. أما وقد جاءت هذه الأقصوصة بذلك فى القرآن الكريم فليس من حقنا أن ننكر ألفاظ الحدث، ولكن من حقنا أن نخاف من سوء تلقى العامة لمغزى رواية الحدث، دون توخى الحذر فى استعمال هذه الخصوصية.

إن فتح الباب للتسليم الغامض الذى يصل إلى قتل طفل لمجرد كشف عبدٍ صالح من خلال علاقته الخاصة بربه أنه سيرهق أبواه كفرا، أقول أن نلقى بذلك فى وعى الناس ثم نقول لهم إياكم أن تعملوا هكذا مثله لأنكم لستم مثل هذا العبد الصالح قد لا يكفى، ومن أدرانا أن قاتلى الأطفال، والكهول، والنساء فى قرى الجزائر، لم يخدعهم من أوهموهم أن عندهم مثل هذا العلم اللدنى، وأن هذا العلم أوحى لهم أنهم بقتلهم كل هؤلاء الأبرياء إنما يفعلون ذلك حتى يَحوُلُوا دون هؤلاء المساكين العزّل أن يبلغوا عن المجاهدين تجسسا وفتنة، من هنا يأتى الخطر للعامة.

فإذا وصلنى أنا معنى آخر للحَدْث فقرأتُه قراءة أخرى من خلال خبرة الجنون الذى أواجه فيه هياج المخ البدائى **"الطفل المتوحش"** على كل ما هو إنسانى ناضج، وأرى انفصال هذا المخ عن هارمونية الذات، والكون، ومن ثم إعاقته لأية مسيرة تكامل نحو الكون إلى الله، إذا أنا رأيت أن هذا المخ الطفلى البدائى، أصبح شديد القوة والخطر حتى يستحيل معه أن تتم عملية التكامل، فمن حقى -طبيا- أن اثبَطه حتى أشله (أقتله) بالمهدئات العظيمة (النيورولبتات) ثم أعود لأروضه، وأنا أحييه حتى لا يعود طفلا منفصلاً وإنما جزءاً من كيان نامٍ يتخلق، لا أخفى عليك أن بعض الأطباء-ربما كما تعلم- ممن ليسوا بالضرورة من عباد الله الصالحين، يستعملون هذه النيورولبتات طول الوقت طول العمر، فهو قتل آخر مع سبق الأصرار، دون أمل فى إحياء، لقد رأيت من خلال كل ذلك: احتمال أن يكون المقصود هو "قتل البدائية فينا" إذا هددت بالانفصال، ورفضتْ أن نُزَكّيها (ننميها)، وشئ قريب من هذا، قرأت به طاعة اسماعيل لابراهيم عليهما السلام وهو ينفذ ما أوحى به إليه ربه فى رواية الأضحية، ثم فِدْيته بالأضحية مما لا مجال لتفصيله الآن.

مرة أخرى ليست أخيرة، **هذا ليس تفسيرا علميا للنص، أنا ضد خلط الأوراق كما تعلم، وبالذات ضد التفسير العلمى للقرآن،**

هذه مجرد وجهة نظر من حقك أن تأخذ بها أو لا تأخذ، ويا حبذا لو لديك وجهة نظر أخرى.

**محمد أحمد**

الأرجح (عندى) أنهم (الوالدين) هم الذين سيطغون ويكفرون بسبب ابنهما هذا، وليس العكس، لم يصمد الناس لفتنة الأولاد إلا عباد الله المخلصين.

**د. يحيى**

يا محمد يا إبنى أنت ذهبت الناحية الأخرى جدا، الأولاد فتنة فعلا حتى الكفر إذا عبدناهم من دون الله بشكل مباشر أو غير مباشر، لكن ليس معنى أن يُفتَن الوالدان عن التوحيد شركاً بأبنائهم أن نقتل هؤلاء الأولاد لكى لا يفتنونهم، ما هذا يا أخى؟! إن تفسيرك يجعل أن "موضوع

الشرك" هو المسئول عن شركنا، فإذا كان الموضوع هو الأولاد، فلتتخلص منهم، ما هذا؟ إنك هكذا تتجاوز حتى مبرر القتل العادى للشخص العادى.
ثم دعنى فى النهاية أبلغك تعاطف صديق للحوار معك وهو يطلب منى أن أخفف غلوائى عليك وهو الصديق د. كريم شوقى.

**د. كريم:**
أنا مبسوط أوى بكلام د. محمد أحمد الرخاوى ونفسى، أستاذنا يحيى يخفف عنه شوية فى الردود لأن السبب اللى خلاه يسيب مصر لاستراليا هو غالبا السبب اللى حايشينى من مصر، وأنا باتفق مع الدكتور محمد إن مصر بلد بنت "..."

وده رأيى بصراحة وأرجو ما حدش يزعل منى

**د. يحيى:**
... يا كريم! يا كريم ، لن أقبل شرطك هذا ، أنا من حقى أن أزعل ونصف أنت لا تستطيع لا أنت ولامحمد ولا الجن الأزرق أن يجبر على مشاعرى ، وأنا لا أزعل من أجل مصر ، لأنها لن تستفيد من زعلى شيئا، ويمكنك أن ترجع إلى يومية 7-9-2007 **"بدال ما يثور يفنّ"** وكلها من أولها لآخرها تقول **"ما هو لازم إنى أزعل".**

أنا لا أختلف يا كريم مع محمد فيما يراه من اغتراب العلم الغربى والمنهج الغربى وفى نفس الوقت رؤيته للتخلف والجمود والوثنيه فيمن يجمدون الاسلام عندنا فى أصنام فكرهم، ولكن دعنا نؤجل هذا الموضوع إلى الأسبوع القادم وأكتفى الآن بالإشارة لك إلى أن ترجع إلى موضوع كتبته سنة 1999 ونشر فى الأهرام وتجده فى الموقع

**ثالثاً: هوامش ضرورية**
نبدأ بالدكتور زكى سالم بعد شكره عن رأيه الذى يمدح فيه: **"طريقة عرضك للحوار بيننا حول التصوف.."**

ثم إنه أردف **"... ولعلنا نتمكن من استمرار هذا الحوار المثمر".**

**د. يحيى**
طيب يا زكى ربنا يخليك، كيف نتمكن من الاستمرار، وأنت لم تفتح ملف أية قضية جديدة بذاتها، أو تكتب تعليقاً على ما بدا أنه الاختلاف بيننا، أو تعلّمنا بعض ما عندكم مما لم يُثر أصلاً، أو تشارك بعض المحاورين الذين ساهموا فى فتح ملف التصوف عامة؟ أنا فى انتظارك، أنا وكل مريدى شيخنا غالبا، وذلك فى مسألة التصوف وغير التصوف، أنت الذى كنت تعتبر أن شيخنا هو المتصوف الأكبر، دون أن يعترف هو بذلك، وأيضا ضد إصراره على أن التصوف ليس حلا، باعتبار أن الحل الذى لا يصلح لأغلب الناس، أعنى لكل الناس، ليس حلا.

## نحن فى انتظارك

أما عن إشارتك لما نشر فى أخبار الأدب هذا الأسبوع (الماضى) فيما يخص الاستاذ والأوراق، فشكرا لتنبيهى، ولكننى اعتدت ألا أصحح مثل ذلك، والكراسات التى أشار إليها د. جابر عصفور ربما هى الكراسات التى كان يدرب بها الأستاذ يده لاستعادة الكتابة، وقد سلمتها كأصل للأستاذ الدكتور جابر عصفور بصفته رئيس لجنة الحفاظ على تراثه، وأستأذنته فى الاحتفاظ بصورةٍ منها (لعمل دراسة محتملة لاحقا)، وقد أذن لى بذلك ونشر هذا بدقة فى صحيفة الحياة اللندنية منذ شهور، ثم إنه قد كلف أ.د. عماد أبو غازى أمامى بعمل "ميكروفيلم" منها لمن شاء أن يطلع عليها لاحقاً، أما أن هذه الأوراق تحوى آراء الأستاذ فى بعض الشخصيات التى عرفها، فهذا ليس له أى أساس، لا أنا قلته، ولا هذا طابع الأستاذ أصلاً، ولا أظن أن هذا ما قاله د. جابر عصفور مقارنة بما نشره سابقا فى الحياة، وعن نفسى أنا لن أرسل تكذيبا، فأنا لم أعتدْ ذلك وهذا الكلام الذى أنشره فى "الموقع الخاص بى"، هو متاح لمن يشاء، أو إن شئت أنت أن ترسل ما تراه منه ضروريا لمن ترى، فلك كل الحرية أن تفعل ما بدالك.

ثم أنتقل إلى الإشارة إلى ما وصلنا عن مقالاتى عن الأستاذ، فأفيدك يا زكى أنه لم يأتنى غير تعليقك الأول. وتعليق الابن "رامى عادل" الذى أتردد كثيراً فى نقل آرائه حرفيا ربما لفيض طلاقته، لكن دعنى أثبت جانبا مما قال، فله دلالته:

**رامى عادل**

.... محفوظ رحل عنا من غير أن يستأذننا، وعتابك (وصلنى معلناً) نهاية علاقتكم المتينة، (ولكن) هل عشتما (معا) كل هذا الحزن والأسى، وهل أعمل مشرطه بداخلك كما تفعل أنت معنا ....، وكأنك تخاطب الموتى .. البعث أين هو وأين نحن منه.

**د. يحيى**

لعلك يا رامى تقصد بقولك **"عتابى لأستاذنا إذ رحل"** دون أن يستأذننا تقصد قصيدتى فى رثائه **("لِمَ قُلْتَها شيخى "كفى" الدستور 2006/9/6)** أحسب انى قلت فيها ما يؤيد رؤيتك، أما مسألة أنه أعمل مشرطة فى يعالجنى، فهذا صحيح، وتجدها فى مقال أمس **"تحت سفح الهرم" الحلقة الثالثة فى شرف صحبة نجيب محفوظ)**، القصيدة بأكملها تجدها فى الموقع، وأنا لا أعتقد أننا – الأستاذ وأنا- عشنا الحزن معاً إلا على أحوال البلد، فقد كانت حكمته ترياقا له ولنا، أما قولى فى القصيدة **"عفوا ومن ذا يشفى نفسى حين تختلط الرؤى أو يحتوينى ذلك الحزن الصديق فلا أطيق"** فهذا صحيح، وهو يدل على أنه أعمل مشرطه بداخلى فعلا بكل مهارة ومسئولية وحذق، لكننى لا أدعى أننا عشنا معاً الأسى الذى تقصده والحمد لله.

ثم إن علاقتنا المتينة لم تنته حتى بعد رحيله يا أخى، وإلا فما هذا الذى تقرأه الآن وأمس، أليست هى هى علاقتنا المتينة؟ قال رحل قال..؟ من قال هذا؟

أما بقية خطاباتك يا رامى، فأعذرنى أننى لا أستطيع نشرها كلها لأسباب أنت لابد تعلمها وهى التى تجعلنى أضع نقطا كثيرة مكان ما أحذفه من رسائلك، وأضيف كلمات بين أقواس كثيرة هى التى أضعها حتى أستطيع أن ألاحق كلامك وأوصله للناس..

**وكل عام وكل المتحاورين – والناس- بخير، ما أمكن ذلك.**

– وهى الجزء الثالث من ثلاثية (المشى على الصراط) وهى موجودة بالموقع وستصدر هذا الشهر من الهيئة العامة للكتاب؟!

السبـــــــــت 13-10-2007

## 43- العيـــــــد .. والنـــــــاس.. والحـــــب.. وربنـــــــا!

لأن اليوم هو العيد، وكل عام وأنتم بخير كان لابد أن أعيّد عليكم، فقررت – استثناءً – أن أهديكم هذه الأغنية "**للأطفال داخلنا**"، التى تربط بين العيد وبين إشكالة التواصل بين البشر التى نواصل الحديث حولها، و"**العيدية**": هى حقكم فى السبق، لأنها هى التعتعة التى سوف تنشر فى الدستور الأربعاء القادم، إن ما تحمله هذه الأغنية – لى أساسا – من احتمال عرض ما نتصوره حلاً لهذا الإشكال عن التواصل البشرى هو فتح باب أبسط وربما أرحب لما يمكن أن يكون.

وكل عام وأنتم بخير، ونحن فى محاولة مستمرة .

**[أغنية للأطفال داخلنا]**

النـاس للنـاس
والعيد بالنـاس
والنـاس بالعيد
وجديدْ فى جديدْ
طب ليه مش عارف أبقى سعيد؟
.....
أصلها مش لعبة: بُوسَهْ وحُضْن
ولا "إنتَ إزيك" لتّ وعجنْ
داحنا علينا نستحمل بعض،
وناخدْها جد .
ماذا وإلا، مش راح تبقى
غير ضرب وعض
أو حضن قوامَكْ رزْع وهبد
.....
.....
زى ما عايزْ إنك تبقى جنى وطّيبْ
لازم أفهم إنك بتعوزنى قوى قريبْ
يا كدا يا بلاش نلعب خالص لعبة "عايشين"،
وحاتبقى المسألة كرْ وفرّ. مش بنى أدمين
***
أنا محتاج لكْ واقف كدَهُهْ ماسك روحك
آه، وانت كمان عايز إنى اسمع بُوحَكْ

أنا محتاج لكْ تفضل بَرَّايَا لكنْ شايفْ
آه، وانتَ كمان عايز منى ما ابقاش ناشف
***
أنا محتاج لكْ: مش جوايا، حاعْمِلْ يدَهْ إيه؟!!
آه وانتَ عايزنى افضَلْ برّاك، وحاموت فيك ليه!!!؟
***
يالا نقرّب
يالا نجرّب
ندخل خايفين – نخرج آمْنِينْ
ندخل آمْنِينْ – نخرج خايفينْ
طب خانخاف ليه لو ربنا فينا احنا لِاتْنِينْ؟؟!!
***
ربنا دا خَلَقْنَا لْبعضينَا
نتلم "عليه"، ننفضَ "عليه"، فوقْ يا أخينا
***
يالاّ نجرب تانى وتانى،
طب ليه لاّه ما هُو حلوانى
قال لك مين دا اللّى جوه القصر؟
قال لك هوّا: إللى بَنَى مصر!
***
آه يا حلاوة وبقينا حلوين
لأ مش خايفين وحانعملها، لأ مش سائلين
***
لكن نرجع ما طرح ماخنا إلا حتة
تفضل حتة، حتهْ زيادة، وكمان حتهْ
***
يا خبر يا جدغ.
دا حُنا كْبرْنا ،
وما كانشى دلعْ.

*****

**قال الشاب لأخته:** كل سنة وأنت طيبة

**قالت البنت:** يعنى ماذا؟

**قال الشاب:** ماذا جرى لك؟ يعنى هذا

**قالت:** طيب، لماذا ذكرتنى بهذه الأغنية بالذات هكذا الآن؟ لقد تألمت بدلا من أن أفرح.

**قال:** أنتِ التى جعلتينى أحفظها، ثم إنها الأغنية الوحيدة التى جاءت فيها سيرة العيد، ثم ألم تلاحظى أن فيها حاجة.

**قالت:** حاجة ماذا؟

**قال:** أليست هى للأطفال داخلنا

**قالت:** حصل

**قال:** إسأليهم، يقولون لك "حاجة ماذا"؟

**قالت:** أسألْ مَنْ

**قال:** الأطفال داخلنا

**قالت:** ما الفرق بين الأطفال داخلنا، والأطفال خارجنا، لقد تلخبطت

**قال:** إيش عرفنى، الظاهر إن الأطفال داخلنا ليسوا أطفالا

**قالت:** إذاً منْ هم

**قال:** ألم تلاحظى "المسافة"، و"إحاطة ربنا"، و"الحركة" "داخلنا" و"خارجنا" و"حوالينا"

**قالت:** ماذا تقول، أين هذا كله؟

**قال:** فى الأغنية

**قالت:** أنت تخرف.

**قال:** بل أكثر من ذلك: ألم تلاحظى مسألة "اجتمعا عليه، وافترقا عليه".

**قالت:** هذا حديث شريف، إيش أدخله فى الأغنية

**قال:** ألم ترددى "ربنا دا خلقنا لبعضينا، نتلمّ عليه ننفضّ عليْه، ... فوقْ يا أخينا"

**قالت:** فوق أنت وبطلّ تدخّل المسائل فى بعضها

**قال:** .... والأكثر من هذا، هل أخذتِ بالك: "ندخل آمنِينْ.. نخرج خايفينْ" وبالعكس.

**قالت:** هىّ ماذا؟ محطة ميكروباص!!

**قال:** أنا تأكدت الآن أن الحركة هى الأصل

**قالت:** وافرضْ دخلنا ولم نخرج؟

**قال:** يبقى البقية فى حياتك

**قالت:** طيب إفرض خرجنا ولم ندخل؟

**قال:** يبقى البقية فى حياة الحب

**قالت:** طيب ، نعمل ماذا؟

**قال:** نبنى أنفسنا، مثل الذى بنى مصر

**قالت:** نحن فى العيد، طيب هات حته.

**قال:** "حتة" ماذا؟

**قالت:** حتة حلاوة

**قال وهو يغنى: "تفضل حتهْ، حتّه زيادْة، وكمانْ حتّة"**

**قالت وهى تغنى: "يا خبْ يا جَدَغْ دا حُنا كْبرْنا، وما كانْش دلع"**

**قال:** هل رأيتِ كيف يكون النموّ والتطور!؟

**قالت:** إخرس خالص، سوف "تبوظها"، الحمد لله أنك لم تلعن أبو الحكومة هذه المرّة

**قال:** نحن فى العيد حرام عليك

**قالت:** يعنى أليس حرام عليهم ما يعملونه بنا، حتى فى العيد، هكذا؟!

الأحـــــــــد 14-10-2007

## 44- التحكُّـــــمْ، والخـــــــوف مـــن فقـــــــدهْ (3)

**اللعبة الرابعة**
**"سيبان بسيبان ... أنا ممكن إنى ..... (أكمل)"**

**اللعبة الخامسة**
**حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... لَحْسَن.. (أكمل)**

فى الحلقة الأولى والثانية (بتاريخ 3-10 / 10-10) عرضنا اللعبات الثلاث الأولى لحلقة (لعبة التحكم والخوف من فقده)

**وكانت اللعبة الأولى (يومية: 3 -10)**
**(1) يا خبر دانا لو سبت نفسى يمكن .....**
**ثم الثانية والثالثة (يومية: 10 -10)**
**(2) لو عارف إن حد حايستحملنى يمكن اسيب نفسى وساعتها .....**
**(3) أسيب نفسى بتاع إيه .. ده انا حتى ....**

***

**ولعل المتابع معنا يذكر كيف لاحظنا ما يمكن تلخيصه فيما يلى:**

(أ) إن المشاركين اكتشفوا فى أنفسهم، وعنها، أكثر مما كانوا يتوقعون، ومما كنا نتصور

(ب) إن الأقنعة التى نغطى بها أنفسنا ليست شديدة الإحكام كما نتصور.

(ج) إن ما نتصور أنه **"لا إرادى"** (يحدث من وراء ظهورنا) هو إرادى نسبيا.

(د) إن التحكم بدا ضروريا حتى على حساب أشياء كثيرة نعرف بعضها فقط

(هـ) إننا لكى نخفف **"من التحكم"** نحتاج أن نطمئن أن هناك من يسمح لنا، ومن يتحمل معنا، أو يتحملنا.

(ز) إن **"الاعتمادية"** مخيفة بقدر ما هى **"حق طبيعى"**

(ح) إن الخوف على الآخرين من "السيبان"، يمشى جنبا إلى جنب مع "الخوف على الذات"، منه أيضا

(ظ) إن السيبان الإرادى - جزئيا - هو استعادة لمساحة أكبر من الحرية

(ط) إن **ضمان** التراجع عن "السيبان" هو مشجع للسيبان كمرحلة مؤقتة، أو طور متناوبْ

(ك) إن التحكم فى الذات هو دفاع طبيعى جيد، لزوم التعامل مع الآخر وحماية الذات أيضا

(ل) إن التغير الذى يحدث فينا فى "محاولات الكشف" هذه، قد يكون مكثفا فى زمن قصير جدا، وهو غير واضح المعالم، لكنه محتمل دائما.

***

مازلنا مع نفس الضيوف فى نفس الحلقة **"التحكم والخوف من فقده"**

**السيدة:** منى، كلية الفنون الجميلة
**الأستاذ:** فوزى، مدرس تربيه فنية
**الأستاذة:** سوزان، صحفية
**والدكتور:** هانى مدرس مساعد (طب نفسى) جامعة 6 أكتوبر

(**ملحوظة:** للمتابعة، خاصة لمن لم يشاهد اللعبة الأولى يمكن الرجوع للأرشيف ليومية (3-10) **"يا خبر دانا لو سبت نفسى .. يمكن .."**، يومية (10-10) **"من لعبة التحكم والخوف من فقده"، وكذلك الحلقة بالفيديو فى الموقع)**

***

**اللعبة الرابعة: سيبان بسيبان .. أنا ممكن إنى .....**

**أ/ سوزان:** يا دكتور يحيى سيبان بسيبان .. **أنا ممكن إنى أسيبها على الأخر.**

**د/ يحيى:** أستاذه منى سيبان بسيبان .. **أنا ممكن إنى أعمل اللى عمرى ما اتصور انى كنت أعمله**

**أ/ منى:** يا دكتور هانى سيبان بسيبان .. **أنا ممكن إنى أخذ راحتى من كل حاجة بقى. أتكلم براحتى ، أغلط براحتى، أعمل اللى أنا عاوزاه.**

**د/ هانى:** يا أستاذ فوزى سيبان بسيبان .. **أنا ممكن إنى يفلت منى.**

**أ/ فوزى:** عزيزى المشاهد سيبان بسيبان .. **أنا ممكن إنى أطربق الدنيا على دماغى أنا.**

**حوار بعد اللعب**

**د/ يحيى:** انا شايف ان مساحة الحركة فعلا أوسع مما كنت اتصور .. الحمد لله .. حد وصل له حاجة جديدة؟.

**أ/ فوزى:** أنا وصلنى شك

**د/ يحيى:** شك فْ ايه

**أ/ فوزى:** شك فى نوعية السيبان اللى أنا محتاجها فعلاً يعنى فى لحظة كدة شكيت: طب إيه السيبان اللى أنا عاوزه مثلا؟ أعيش آكل واشرب وما اشتغلش مثلا؟ ومش عاوز يبقى فى ضغط كده فى الحياة والدنيا تبقى سهلة كلها ومفيش مذاكرة ومفيش إمتحانات ومافيش شغل؟ طب إيه نوع السيبان اللى انا عاوزه؟ أقول رأيي فى نوع السيبان ولا مش هو ده السيبان اللى هو مطلوب يعنى؟ شكيت فى نوع السيبان اللى أنا عاوزة.

**د/ يحيى:** انت بقى وشطارتك

**أ/ سوزان:** أنا وصلنى إحساس مخالف أو معاكس ....، وصلنى فعلاً فى اللحظة دى **(إنى)** أنا حسيت إن السيبان ده حاجة خطيرة ممكن تبـوَّظ كل نظام، لما الواحد يعبر عن إحساسه بحرية تامة وسيبان تام، أنا حاسة إن كل الحاجات حاتخش فى بعضها.

**د/يحيى:** بينى وبينك هو حاجة خطيرة فعلا، برغم الحركة والفرحة والمساحة، هو باين فى عمقه حاجة خطيرة، بس حلو باين (عليه).

**أ/ سوزان:** هوّا حلو، هو لذيذ **(إنى)** أنا أكون على حريتى، بس أنا أعتقد إن أنا حاخش فى نطاق الأخرين، يعنى أبتدى أجرح حرية الأخر ممكن.

**د/ يحيى:** إنتِ عارفة حكاية "حريتى تنتهى عند بداية حرية الأخر"، أنا ما باحبهاش أوى، هى طبعاً جميلة جداً إنما فيه علاقة أعمق من كده شوية.

**أ/ سوزان:** دى بتبقى الحب.

**د/ يحيى:** (قصدى) يعنى أنا **(أقدر)** أقتحم حرية الأخر على شرط أسمح له إنه يقتحم حريتى، حايحصل دوائر تتداخل بطريقة فيها نور، وفيها تحمّل وفيها ألم، انما "سيب وانا اسيب"، وخلاص؟ يبقى حنبقى ايه؟،... عارفه حكاية حريتك تنتهى عند حرية الآخر دى: بتبقى عامله زى بِلىْ الطساسات، أو بلياردو كُوَرْ البلياردو، يروح يخبطوا فى بعض ويروح باعدين، يخبطوا فى بعض ويروحوا باعدين أنا موافق على الجانب الإيجابى **(فى ده)**.

**أ/ سوزان:** والجانب السلبى؟ يعنى حرامى مثلاً يدخل فى حرية الأخرين يسرق وقتهم، يسرق ممتلكاتهم هاتبقى كارثه

**د/ يحيى:** لأ أنا مابتكلمش على السرقة دى، أنا بتكلم إن فيه علاقة حميمة تسمح أن يقتحم الواحد حرية الآخر، حتى يصبح أكثر حرية (للاثنين) من خلال ده.

**أ/ سوزان: (يعنى)** بسماح منّك؟!

**د/ يحيى:** مش ضرورى **(ظاهر)**، إفرضى إنى جبان وهو بيحبنى أوى.

**أ/ سوزان:** دا كده بيقتحمك.

**د/ يحيى:** بيقتحمنى ليَّا، النتيجة إنه يقتحمنى ليا، فأقتحمه له، فنكبر إحنا الإتنين، تبقى مساحة حريتنا أكبر زى

ما لعبنا سيبان بسيبان، لقينا الدنيا رحرحت، لكن مافقدناش حريتنا

**أ/ سوزان:** إحنا حسينا بالسعادة ساعة السيبان. أنا باقول القانون هوا اللى بيحكمنا، إحنا ساعات بنرفض القانون.

**أ/ فوزى:** يا دكتور إنت أثّرت فىَّ، فيه سؤال برضه من كلام حضرتك دلوقتى: هل التحكم فى النفس جبن؟

**د/ يحيى:** لأ ممكن يكون منتهى الحكمة، ثم يا أخى أولا إحنا هنا مابنصدرش أحكام ولا حِكَمْ ولا بنستشهد بأشياء تكتم على حركة الوعى/البرنامج ده فكرته الأساسية "لتحريك الوعى" وليس لإلقاء المعلومات أو التغطية أو الوصايا، هو لتحريك الوعى، فأنا ماقدرش أقولك ده غلط ودا صح، عمالين نشتغل بحيث كل واحد فى النهاية يبقى مسئول عن السيبان وعن قلته.

**أ/ منى:** أنا وصلنى من حكاية **"سيبان بسيبان دى"** أنها ممكن تعمل نوع من الهرجلة وعدم الإنضباط.

**د/ يحيى:** بس كان واضح إن الوعى بمساحة الحركة والقدرة عليها ده بيخلى التحكم أجمل وأسهل، غير لما بيجى من برة طول الوقت، طول الوقت/ لما باحس كده أنا رايح فين أقدر أقول "لأه"، كفاية كده، "مش دلوقتى".

***

## الملاحظات والتعقيب

1- نلاحظ أنه أثناء اللعب بدا أن مساحة الحركة قد تخطت حدود المتوقَّع (عموما) (**سوزان: أسيبها على الآخر**) - (**د. يحيى: اللى عمرى ما اتصور أنى كنت حاعمله**) - (**منى: آخذ راحتى، من كل حاجة بقى**)

2- كما لوحظ أنه مع تمادِى الانطلاق ظهرت بوادر الحذر (هانى: أنا ممكن أنى يفلت منى)

3- وحين ينطلق الداخل أكثر نتيجة لهذا السماح. بما فى ذلك من احتمال عدوان أو تحطيم، يظهر ميكانزم الارتداد إلى النفس (**فوزى: أطربق الدنيا على دماغِى أنا**)

4- لم تكن آراء تلك التى عرضها اللاعبون بعد نهاية اللعبة مباشرة/ بل كانت أقرب إلى مناقشات ساخنة نسبيا، وصريحة، وشارحة أحيانا.

5- ذكر "فوزى" فى المناقشة ما يدعُمُ ما أشرنا إليه فى الحلقة السابقة، من: أن ما يتحرك فى وحدة الزمن الصغيرة (أثناء اللعبة أو بعدها) هو أكثر مما نتصور، فقد مرّ أمامه شريط التساؤل عن "إيه السيبان اللى أنا عايزه" من أول تحقيق الحاجات الأولية (الأكل والشرب) حتى حرية إبداء الرأى، مرورا بالمذاكرة والامتحانات، وأيضا فوزى تساءل عن "نوع السيبان".

6- طالت المناقشة بين سوزان، ود. يحيى لدرجة غير مألوفة، (وغير مفيدة غالبا لشدة المباشرة فيها) إلا باعتبار ما يمكن ان يصل للمشاهد من تلك المناقشة النظرية، يجوز!!

7- بدأت **سوزان** بالشعور بالخوف من السيبان، **"حاجة خطيرة ممكن تبّوظ كل نظام"**، ومع ذلك فقد اسمته **"يعبر عن إحساسه بحرية"**، لكنها ألحقت بذلك: **"أنا حاسه كل الحاجات حاتخش فى بعضها".**

ثم فى نهاية النقاش عقبت عن الشعور بالسعادة ليس بالنسبة لها فقط، وإنما للجميع "إحنا حاسينا بالسعادة ساعة السيبان" (ثم أعقبت) أنا بأقول **"القانون اللى بيحكمنا، إحنا ساعات بنرفض القانون"** كانت وكأنها تلحق نفسها بتذكر القواعد المحكمة.

8- ما بين بداية مناقشة سوزان وتعقيبها النهائى، دار الحوار حول الحرية، فنبه د. يحيى كيف أن ما هو مخاطرة يمكن أن يكون هو هو حلواً، (شئ اشبه بـ: **مافيش حلاوة من غير نار)**، فتُوافِقُ سوزان بسهولة تبدو إشارة أقرب إلى ما هو حرية الطفل **"هو لذيذ أن أكون على حريتى"** ثم تتحفظ خشية جرح حرية الآخرين.

وهنا ينبرى **د. يحيى** – محقا أو مخطئا – يعلن موقفه الشخصى، فهو يرفض تلك المقولة الشائعة أن: " " ويشبهها بعلاقات كرات البلياردو.

الإشكال الأخطر لم تحلّه المناقشة بوضوح وهو علاقة "التحكم" ... "بالحرية". وما هى الحدود التى يمكن أن توضع لضبط تناسب الجرعة بينهما، مع الوضع فى الاعتبار كف إيذاء الآخر.

9- الذى لم يتضح فى المناقشة هو مسألة اقتحام حرية الآخر بإذن خفىّ منه، فى مقابل السماح لهذا الآخر ان يقتحم حريتى لى، سعيا إلى علاقة أعمق، **هذه مسألة ليس لها حل سهل.** إن **"الحرية الظاهرة"** التى تضع الحدود المعلنة ليست هى كل الحرية، كما أن حرية الداخل الغامضة، ليست مضمونة بحال، نستعمل كلمة الحرية هنا ليس **"بمعنى التنازل عن التحكم"**، وإنما أيضا بمعنى احترام **"حريتى الأخرى"**، التى تنشط فى مستوى آخر، غير الوعى الظاهر، فى هذه الحالة عادة ما لا تنتهى الحرية عند حدود حرية الآخر، بل تتجاوز هذه الحدود، إلى حرية محتملة أعمق، حرية تنادى هذا الآخر بتجاوز حدود الظاهر، وفى تعبير د. يحيى **"أنا اقتحم حرية الآخر على شرط اسمح له أن يقتحم حريتى"**، لكن لم يظهر بوضوح أن هذا الاقتحام هو اقتحام للحرية الظاهرة فحسب، وليس للحرية المطلقة بكل مستوياتها، والذى قد يحل هذا الإشكال – الذى ليس له حل – هو السماح المتبادل باقتحام حريتى الظاهرة أيضا، نتيجة المغامرة كما يصورها د. يحيى هى أنه **"حايحصل دوائر تتداخل بطريقة فيها نور، وفيها تحدّ، وفيها** ألم" وربما هذا هو ما التقطته سوزان دون تفسير **"...بتبقى الحب"** قبل أن يشرح د. يحيى وجهة نظره هذه، لكن سوزان تتراجع خوفا من حكاية الاقتحام هذه، بأنها "سرقة" ما دامت دون إذن صاحبها.

يرفض الدكتور يحيى أن يعتبرها ببساطة سرقة، لأن هناك سماح ضمني متبادل، بل إن د يحيى يضع احتمال أن تكون مغامرة تكسر **"ترددى الخارجى وأنا اسمح للآخر باقتحامى"**، كما سمح لى باقتحامه، يبدو هذا فى شرحه "(هو) بيقتحمنى لى (ليّا) النتيجة إنه يقتحمنى لى فأقتحمه له، ..... احنا الاثنين (نتحرك) تبقى مساحة حريتنا (أوسع)، زى (ساعة) ما قلنا **"سيبان بسيبان لقينا الدنيا ..."**

10- لا يصل هذا الموقف "عادة" للذين يتعاملون مع التركيب البشرى على أنه **"تواصل على مستوى واحد"**، المستوى الظاهر فحسب، إن تنظيم قواعد ما يسمى "الحرية" بالنسبة للمجموع إنما يتم على مستوى **"ألفاظ القانون"** أو **"كلمات المواثيق المكتوبة"**، وبديهى أنه لا القانون ولا المواثيق تسمح بهذه المخاطرات الخميمة التى تسمح بأن تنتقل عملية **"اتخاذ القرار"** من مستوى حرية، إلى مستوى آخردون صراع مباشر، حتى تتحقق حرية أشمل من خلال **توالى وجدل قرارات المبادأة من مستوى إلى مستوى بنشاط متصل**، إن هذا المستوى الاقتحامى ظاهرا، يبدو نوعاً من مساعدة الآخر فى كسر فرط تحكمه فى ذاته، خوفا من خطر السيبان، الذى قد يظهر الإرادات الأخرى.

11- يأتى تدخل **فوزى** هنا ليعلن هذا الاحتمال فى سؤال يقول **"هل التحكم فى النفس جُبْن؟"** فيأتى تحفظ د. يحيى بالإمتناع عن إصدار الأحكام ليؤكد أن الهدف من اللعب أساسا هو تحريك الوعى.

12- ثم يأتى تعليق "منى" تحذيرا من هذه المخاطرة من حيث أن تخطى الحواجز "سيبان بسيبان" هو ليس إلا نوعا "من **الهرجلة وعدم الانضباط**".

13- يضيف د. يحيى ما يشير إلى أن إشكالة حركية **العلاقات المتعددة المستويات** هذه، ليست فى الالتزام بما هو **"حَدّى و حَدّك"**، وإنما هى أعم وأعمق، فهى ترتبط **بمساحة الحركة، والقدرة عليها** وأن هذا يجعل التحكم **"أجمل وأسهل"**، **"غير لما ييجى من برّه طول الوقت، طول الوقت"**، بمعنى أن يصبح التحكم هو نتيجة للسماح وليس استجابة للقهر، ربما يكون هذا تفسير ما اختتم به د. يحيى المناقشة **"لما باحس بكده"** (بمساحة السماح والقدرة على الحركة معا) **"أقول أنا حاروح فين بقى، لأ كفاية كده دلوقتى"**.

## تعقيب ختامى

طبعا هذه المنطقة كلها من أصعب ما يمكن، فالاستسهال جاهز، والتبريرات بلا حصر، لكن إذا كنا نريد أن نحترم الطبيعة البشرية كلها بكل مستوياتها، فعلينا أن نواصل السعى إلى احترام تعدد المستويات، وذلك بالسماح بالإنصات إليها معا، بديلا عن اختزال الوجود البشرى، إما إلى المستوى **"اللفظى/القانونى/الاجتماعى/الظاهر"** أو استقطاب التركيب البشرى إلى صراع تقابلى، لابد أن ينتصر فيه أحد طرفيه، فينفض الاشتباك على حساب النمو الخلاّق.

**إن تفاعل حريات أربع أو ست أو أكثر مع بعضها فى مساحة كافية من السماح والمسئولية، يمكن أن يكون هو الذى يسمح بحركية فطرة الكيان البشرى فى محاولاته للتواصل الواعى المتداخل، الذى تنمو معه الحرية الحقيقية بقدر ما تتسع مساحة السماح المسئولة.**

**اللعبة الخامسة**

**حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... لَحْسَن.. (أكمل)**

**أ/ منى:** يا دكتور يحيى حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... **لحسن أنفذّه فى الحقيقة.**

**د/ يحيى:** يا دكتور هانى حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... **لحسن أحلم باللى مش عاوز أحلم بيه وأشوف أكتر، يمكن ماستحملش.**

**د/ هانى:** يا مدام سوزان حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... **لحسن أبقى محتاج كل شوية، أبقى محتاج الحلم زى مايكون الحلم بقى إدمان يبقى موجود .كده ماسيبش نفسي.**

**أ/ سوزان:** يا أستاذ فوزى حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... **لحسن أصدقه.**

**أ/ فوزى:** عزيزى المشاهد حتى فى الحلم، أنا مابقدرش أسيب نفسى على راحتها ... **لحسن أصحى من النوم.**

**حوار بعد اللعب**

**د/ يحيى:** حد وصل له حاجة جديدة.

أ/ فوزى: انا فعلا أكتشفت إنى ماباسيبش نفسى على راحتها إلاّ فى الحلم بعكس اللعبة.

**أ/ منى:** فى الحلم أنا مقدرش أتحكم فى نفسى، أسيب نفسى بالعافية.

**د/ يحيى:** إيش عرفك؟

**(عموما)** اللعبة فقست حاجة علمية صغيرة، ... **إن الحلم إتهيأ لك إنك انتَ مش (بتشكله)**، إنما اللعبة سرقتْنا احنا الخمسه علشان توريـنا **إن جُوّه الحلم فيه إرادة ما**، وحدود ما، ومساحة.

*امتلأت المناقشة بعد ذلك بشرح وجهة نظر د. يحيى فى مسألة الأحلام، وكيف أن فى الحلم إرادة ما، وقد فضلنا ألا نثبت هذا التنظير المطوّل، إذْ ليس من المألوف فى اللعبة، ولا هو مفيد، أن يجرى التنظير بهذه الإطالة، مقارنةً بما يمكن أن يصل إليه المشاركون من إضافة للوعى من خلال تفاعلهم، هذه الإطالة فى التنظير بدت لى الآن أشبه بالمحاضرة فحذفتها.*

**نكتفى هنا بالتعليق على اللعبة نفسها دون التوقف عند المناقشة فنلاحظ:**

1- أن **مُنَى** اعتبرت أن الحلم **"واقع آخر"** له حق المثول مثل واقع اليقظة، وعلى ذلك فقد خشيتْ منه أنه إذا تجاوز حدوده، أن يخرج إلى حيز التنفيذ فى حالة الصحو!! وهذا احترام ضمنى للحلم **"كواقع آخر"!**

2- **د. يحيى** اعتبر فى استجابته أن الحلم هو عملية كشفُ لمساحة لابد أن نخطو فيها بقَدَرْ، حتى لا تصل الرؤية – فى الحلم ومن الحلم – إلى أكبر من قدرة بصيرتنا أن تتحملها.

3- **د. هانى** احترم دور الحلم فى تحقيق الجانب الآخر من وجوده أو كيانه أو غائيتّه، فوضع حداً لذلك، حتى لا يحل وعى الحلم محل وعى اليقظة الواقعى ويأخذ مساحة ويتكرر بدرجة أكبر من القدرة على استيعابه أو الجدل معه.

4- **سوزان** اعطت الحلم قوة الحضور الواقعى أيضا، تلك القوة التى قد تصل إلى درجة قبوله واقعاً صادقا آخر " .. لحسن أصدقه".

5- **فوزى** أراد أن يسمح للحلم أن يتمادى براحته، تحت مظلة النوم، حتى لا يكون هو (فوزى) السبب فى إجهاض الحلم ولو بقطع النوم.

**التعقيب**

لو أننا أهملنا كل هذه الإستجابات التى تشير إلى "طبيعة الحلم كعملية" قبل أن يكون محتوى، فلربما تركز اهتمامنا فى أن نسأل عن حلم بذاته، وماذا فيه، وكيف، ثم رحنا نبحث عن تفسيرات تقليدية له، إذن لما أمكن أن نخرج من كل ذلك بإضافة معرفية لها قيمتها فى فهم **ظاهرة الحلم فى ذاتها**، كما تم الكشف عنها من خلال هذه اللعبة البسيطة باعتبار أنها حياتنا الأخرى التى لها حضورها وقوانيها ودورها فى الإيقاع الحيوى والوجود.

إن الاتجاهات التى يتبناها **"فرض د. يحيى عن الأحلام"** تشير إلى **أن الحلم ليس هو أساسا الذى نحكيه عندما نستقيظ، وإنما هو النشاط التشكيلى الدورى الذى يجرى فعلا أثناء طور النوم الخاص** به، أنه **يتم بنوع من الإرادة لا مجال لتفصيله هنا**، وقد جاءت هذه الاستجابات كلها تتكلم عن الحلم كممثل لهذا النشاط دون أية إشارة إلى محتوى حلم بذاته له أحداث، ومسرح، وصور، وتسلسل.

يمكن أن نستلهم من هذه اللعبة ما نكرر التركيز عليه من ضرورة إعادة النظر فى الوقوف عند الحلم المحكى، وبالتالى الاستغراق فى تفسيره سواء التفسير الشعبى، أو التفسير الدينى، أو التفسير التحليلى النفسى (الفرويدى خاصة).

ويمكن الرجوع إلى شرح بعض ذلك فى الموقع فى **(حركية الوجود الحيوى وتجليات الإبداع – فصل الإيقاع الحيوى ونبض الإبداع")** وقد عرض أيضا بالشرائح فقط للأسف، شرائح ليست محكيه **"الحلم والإبداع (مثال: الشعر) والجنون".**

**وبعـد**

إننا لو سألنا أى من المشاركين كيف استُدرِج إلى الإجابة هكذا **باعتبار أن له دوراً إراديا** – على مستوى ما من الوعى – فى توجيه مسار الحلم، أو تشكيله، أو وضع حدود له، أو ضبط جرعة السماح التى تنطلق منه، **لأنكر الجميع أنه له أى دور فى أى من ذلك، لكن اللعبة أظهرت بطريق غير مباشر طبيعة دورنا فى صناعة وتشكيل الحلم الحقيقى**، وليس فقط الحلم المحكى (الذى نؤلفه نحن أيضا ولكن مما تبقى من حركية التشكيل على سطح وعى الحلم لحظة الاستقياظ وقبلها وبعدها)

**المأزق والتحدى والاعتذار**

طبعا، وجدت صعوبة شديدة أثناء إعداد هذه اليومية، وأنا أحاول أن أحدد المتلقى الذى أوجه له الخطاب عن ما وصلنى من مغزى هذه الاستجابات التلقائية البالغة الدلالة، هل أنا أقدمها أساسا للزائر العادى غير المتخصص، وهل هذه اللغة مناسبة؟ حينئذ قفز لى تبرير يقول: "ومن قال إن محتوى الموقع (أو مجلة الإنسان والتطور – أو حتى هذه النشرة اليومية) هى أساسا للزائر غير المتخصص، فسألت نفسى، فهل أنت تقدمها لزائر متخصص (فى الطب النفسى أو علم النفس أو ما شابه)؟ وإذا بى أنفى ذلك أكثر وأنا أتصور أن الصعوبة تزداد، أضعافا مضاعفة، فقد تعلمت من واقع محاولاتى المتعددة الأشكال أن الشخص العادى هو أقرب إلىّ كمتلقٍّ من أى متخصص إلا ما ندر.

وحتى الآن، أنا لم أجد حلاً لإشكالى هذا إلا أن أعتذر لهؤلاء وأولئك

ثم أروح أكرر واشرح أكثر كلما أتيحت لى الفرصة، وأستمر.
هل عندكم حل آخر؟

أكتوبـــــــــــر 2007 : **أسبـــوع 2**

إصـــدارات شبكـــة العلـــوم النفسيـــة العربيـــة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلـف 2007

## أ. د. يحيى الرخاوي

- أستاذ الطب النفسي: كلية الطب، جامعة القاهرة
- كبير مستشاري دار المقطم للصحة النفسية لشخصيات
- رئيس مجلس إدارة جمعية الطب النفسي التطوري والعمل الجماعي

### الأبحاث النفسية

- عديد الأبحاث وأوراق بالإنجليزية و عديد الفروض والنظريات والمداخلات بالعربية إضافة إلى عديد أبحاث الدكتوراه والماجستير التي قام بها واشرف عليها و شاركته عديد الندوات والمؤتمرات العلمية والعالمية

### المؤلفات

- حيرة طبيب نفسي - المشي على الصراط ( ج1 الواقعة. ج2 مدرسة العراة) - مقدمة في العلاج النفسي الجمعي - دراسة في علم السيكوباثولوجي (شرح : سر اللعبة) العمل المحوري الذي يمثل تنظيره للأمراض النفسية والسيكوباثولوجيا - أغوار النفس - حكمة المجانين - النظرية التطورية الإيقاعية وأساسيات من علم النفس ( تشمل الخطوط العامة للنظرية النفسية البيولوجية للمؤلف) - قراءات في نجيب محفوظ - مثل.. وموال - مراجعات في لغات المعرفة - مواقف النفري بين التفسير والاستلهام- ترحالات يحيى الرخاوي (ثلاثة أجزاء) - مبادئ الأمراض النفسية - علم النفس في الممارسة الطبية - علم النفس تحت المجهر - ) ألف باء. الطب النفسي - حياتنا و الطب النفسي - حيرة طبيب نفسي - عندما يتعرى الإنسان - دليل الطالب الذكي في علم النفس والطب النفسي: 3 مجلدات - أفكار وأسمار حول القصر العيني - البيت الزجاجي والثعبان. (شعر) - اللغة العربية والعلوم النفسية الحديثة - المفاهيم الأساسية للطب النفسي- الطب النفسي للممارس - قراءات في نجيب محفوظ- مثل.. وموال قراءة في النفس الإنسانية - رباعيات ورباعيات - هيا بنا نلعب يا جدي سويا مثل أمس - تبادل الأقنعة - أصداء الأصداء

### الانتماء إلى الجمعيات النفسية

- عضو الجمعية المصرية للصحة النفسية
- عضو مؤسس للكلية الملكية للأطباء النفسيين
- رئيس التحرير المشارك المجلة المصرية للطب النفسي.
- رئيس تحرير مجلة الإنسان والتطور - مستشار النشر بالهيئة العامة للكتاب
- مسئول التحرير المشارك للمجلة العربية للطب النفسي



جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2007